

مكتبة الشباب

عشاق الحياة

عطاء من قلب الحرمان

تأليف

أحمد سويلم

إخراج فنى

جمال عبد الغفار



مركز الدراسات الإسلامية

جميع حقوق الطبع محفوظة للشركة **سفيح**

رقم الإيداع ١٢٦١٣ / ٢٠٠٧

التوزيع الدولي: 4 - 515 - 361 - 977 ISBN :

الفهرس

الصفحة

الموضوع

مقدمة :

٥ - هؤلاء عشقوا الحياة ورفضوا العجز

٨ - الشخصيات العربية :

٩ * أبو العناء : الشاعر الساخر

١٤ * ابن منظور : صاحب لسان العرب

١٨ * بشار بن برد : شاعر الكبرياء

٢٢ * طه حسين : والإرادة الصلبة

٢٨ * صبحي الجيار : وملحمة الصبر والألم

٣٢ * عبد الحميد يونس : رائد الأدب الشعبي

٣٦ * محمود أبو الوفا : ورحلة العطاء

٤٢ * حسين القبانى : والصعود فوق الخن

٤٦ * محمود صبح : والفن الجميل

الفهرس

الموضوع	الصفحة
— الشخصيات الأجنبية :	٥٠
» توماس أديسون : رجل أضاء العالم	٥١
» فرانكلين روزفلت : زعيم على كرسي متحرك	٥٦
» هيلين كيلر : البطولة والإرادة	٦٠
» أوجست رنوار : والخلص بالفن	٦٥
» بيتهوفن وسميتانا : الموسيقيان الأصمان	٧٠
» إليزابيث براوننج : وعزيمة لا تلين	٧٨
» لويس برايل : وبصيرة المستقبل	٨٣
» جون ميلتون : والفردوس المفقود	٨٧
» روبرت بيرى : والقطب الشمالى	٩١
» جوهانز كيلر : وقانون حركة الكواكب	٩٦

بسم الله الرحمن الرحيم

هؤلاء عشتقوا الحياة ورفضوا العجز

تستهويني دائماً سير العظماء .. خاصة الذين أضافوا إلى البشرية
إنجازات فكرية وعلمية وفنية .

وتستهويني أكثر سير هؤلاء العظماء الذي فقدوا حاسة أو أكثر من
حواسهم التي منحهم إياها الخالق العظيم ، لكنهم لم يقفوا أمام هذه المحنة
شاعرين بالنقص والعجز والاستسلام ، وإنما تغلبوا على كل شيء يعوقهم ..
وانطلقوا إلى قمم المجد .. سلاحهم الصبر على المحنة .. وعشق الحياة ..
وتحقيق الحلم .

ولقد سبق لي إصدار كتاب خصصته للمسلمين القدماء الذين هزموا
العجز .. وتضمن نحو عشرين شخصية في مجالات العلم والمعرفة .^(١)

وظلت فكرة تناول شخصيات أخرى معاصرة عربية وأجنبية تراوحت بين
الحين والآخر .. حتى طلبت مني (دار سفير) أن أقدم لها عدداً من هذه
الشخصيات التي تعد قدوة ومثالاً للإرادة والتحدى أمام شياطين الذي يبحث
عن القدوة والمثال .

(١) مسلمون هزموا العجز - الدار المصرية اللبنانية ١٩٩٢م.

وسوف يجد القارئ في هذا الكتاب عدداً من الشخصيات العربية والأجنبية .. تتضمن باختصار وتبسيط دقيق أهم معالم سيرة حياتهم .. وتوضح ما ابتليت به من نقص .. وكيف استطاع صاحب هذا النقص أن يتغلب عليه بالصبر والإرادة غير عابئ بسخرية البشر ولا حتى بهذه الآلام التي يعانيها .. ثم ها هو ينطلق يعد أن يرسم هدفه، لتحقيق المجد والحلم .

وقد حرصت أن أقدم أنواعاً مختلفة من هذه الخن .. فمنهم من أصيب بفقد البصر .. ومنهم من أصيب في أطرافه حتى إنه يعجز عن فعل أى شئ .. أو أصيب ببتتر ساق من ساقه . ومنهم من فقد حاسة واحدة .. ومنهم من فقد أكثر من حاسة وهكذا .

كما إننى حرصت كذلك على التنوع في اختيار هذه الشخصيات .

ففرى: المفكر .. والأديب .. والشاعر .. والعالم .. والفيلسوف .. والموسيقى .. والحاكم .. والمخترع .. والرسام .. والمكتشف .. حتى يستطيع القارئ أن يتجول مع إنجازات هذه الشخصيات التي عاشت رمزاً للبطولة والإرادة والتحدى .. وأخلصت في مسيرتها حتى حققت أهدافها الكبيرة .

ولولا إصرار هذه الشخصيات على مواصلة الحياة .. لطواها التاريخ في جب النسيان .

ومن ثم فإن ميزة هؤلاء الذين عشقوا الحياة وواصلوا خطاهم بإرادتهم
القوية .. هو أنهم لم يسمحوا يوماً عن النداء .. نداء أحلامهم .. والبحث
عن موقع فوق قمة الشجد .

أتمنى أن يستفيد من هذا الكتاب شبابنا الواعد .. الذي لا يشكو علة
ولا نقصاً في حواسه .. وأن يتفهم دور هؤلاء الأبطال وإنجازاتهم للبشرية .
والله الموفق ،

أحمد سويلم

الشخصيات العربية



أبو العيناء الشاعر السحري

حينما ولدته أمه .. كان قبيح الخلقة .. أحول العين .. وتمنت الأم أن
يموت ولدها القبيح ولا يراه أحد من الناس .

وحينما رآه أبوه .. رفع وجهه إلى السماء راضياً بما قسمه الله له ..
فأسماه محمداً لعله يحظى باحترام الناس .

إنه محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر .. الهاشمي ولأه .. المكنى بأبي
العيناء .. وقد عاش في العصر العباسي الأول حتى جاوز التسعين .. وقد
عاصر الجاحظ وبينهما مجال وأخبار كثيرة .

نشأ الفتى في البصرة .. واتخذ السخرية سلاحاً يدافع به عن نفسه إزاء
من يسخر به .. فلم يضق بحوله الذي امتد أربعين عاماً .. ولم يضق بالعمى
الذي لازمه خمسين عاماً أخرى .

وقد وصفه أحد الشعراء المعاصرين له بقوله :

أَحْوَلُ العَيْنِ وَالحَلَاتِقُ زِينٌ لَا أَحْوَلَالُ بِهَا وَلَا تَلْوِينُ

ليس للمرء شائناً حَوْلُ العِيَةِ نَ إِذَا كَانَ فَعْلُهُ لَا يَشِينُ

بل إنه أيضاً رأى فضيلة في الهوى و خلاصاً من مراقبة العذال فقال :

حمدتُ إلهي إذ بلّاني بحبيها

على حَوْلٍ يُغْنِي عن النظرِ الشرِّيرِ

نظرتُ إليها والرفيق يظنّني

نظرتُ إليه فاسترحتُ من العذِرِ

وحيثما أصيب بالعمى .. بدأ يفاخر بذلك ويؤكد موهبته الشعرية والعقلية فقال :

إن يأخذ الله من عيني نورَهما

ففي لساني وسمعي منهما نورُ

فلي ذكّي وعقلي غير ذي خَطَلٍ

وفي فمي صارمٌ كالسيفِ ماثورُ

وظل طوال حياته قبيح الخلقة .. لكنه مع ذلك كان أبو العيناء يمتلك لساناً ذكياً فصيحاً .. ويُعدُّ من ظرفاء العرب .. وله نوادر وحكايات ومراسلات عجيبة، وقال عنه ابن كثير : له معرفة تامة بالأدب والحكايات والملح، أما الحديث فليس منه إلا القليل .

وقال عنه الحصري : وكان أبو العيناء أحدُ الناسِ خاطراً .. وأسرعهم

جواباً .. وأبلغهم خطاباً . وقد حظيت مواهبه وأخلاقه بتقدير الخلفاء والولاة .. فكانوا ينادونه .. وبحيون الاستماع إليه . ويروى أنه دخل يوماً على الخليفة المتوكل في قصره المعروف بالجعفرى .. فقال له المتوكل : ماذا تقول في دارنا هذه ؟

فقال أبو العيناء : إن الناس ينو الدور في الدنيا .. وأنت بنيت الدنيا في دارك .. فاستحسن الخليفة إجابته .

ومرة أخرى داعبه المتوكل فقال : إن سعيد بن عبد الملك يسخر منك . فقال أبو العيناء : " إن الذين أجرموا من الذين آمنوا يضحكون " . ويذكر الصغدي في كتابه (نكت الهميان) عن أبي العيناء قوله :

قل إن وجد أعمى بليداً .. ولا يرى أعمى إلا وهو ذكي ، منهم أبو العيناء وأبو العلاء ..

والسبب الذي رآه في ذلك أن ذهن الأعمى وتفكره يجتمع عليه .. ولا يعود متشعباً بما يراه .. ونحن نرى الإنسان .. إذا أراد أن يتذكر شيئاً نسيه أغمض عينيه .. فيقع على ما شرد من حافظته .. وفي المثل : أحفظ من العميان !

لم يعتزل أبو العيناء الناس .. بل تحدى هذا العمى وكان راوية للأخبار والقصص ونوادر الأدب .. فأقبل الناس عليه يحدثونه ويسمعون منه .. وإلى جانب أنه شاعر نظم في الحكمة والغزل والهجاء .. فقد كتب رسائل إخوانية منها ما كتبه يذم به أحمد بن الحصب على لسان الكتاب والرؤساء والقواد

وغيرهم .. ومنها ما تحدث فيها عن مساوئ أهل عصره ..

أما سلاح السحرية الذي كان يذود به عن نفسه .. فقد استخدمه في مواقف كثيرة .. والغريب أن سرعة هديته كانت حاضرة بشكل لافت، فمن ذلك مثلاً أن ابن نوح النصراني عتب عليه .. فبلغه ذلك .. فقال : (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم)

وقدم صديق عليه ذات مرة .. فدعاه إلى الطعام .. وجعل الصديق يروى ويكذب .. فالتفت إليه أبو العيناء وقال : نحن كما قال الله تعالى : (سماعون للكذب أكالون للسحت) !

وقد تكون سحرية بجملة قصيرة تحمل معنى مضحكاً، فقد زاحمه رجل على حمار بالجسر .. فضرب يده على آذان الحمار .. وقال : يا إنسان قل للحمار الذي فوقك أين الطريق ..

ووعده أحدهم أن يحمله على بغل .. فلقبه في الطريق وقال : كيف أصبحت يا أبا العيناء ؟

فقال : بلا بغل !

فضحك من قوله .. وبعث إليه بالبغل .

وأكثر نوادر أبي العيناء الساخرة يقولها ساخراً بمن أرادوا أن يسحروا به .. ومن ذلك : قال له أحدهم : اشتيتي أن أرى الشيطان .. قال : انظر في المرأة وأنت تراه .. فقال له أحدهم : كيف أكتب اللؤم .. بلام أو بلامين ؟

فاجاب : صور نفسك !

وكما كانت حياته مثاراً للسخرية .. كان موته أعجب .. فقد كان قد الحذر من بغداد إلى البصرة في زورق فيه ثمانون نفساً .. فغرق الزورق .. ولم ينجُ ممن كان فيه إلا أبو العيناء .. فقد تعلق - وهو أعمى - بقطعة خشب من الزورق .. وخرج حياً وتلف كل من معه ووصل البصرة حيث مات سنة ٢٨٢هـ .

وهكذا نرى أبا العيناء قد عشق الحياة وعمر حتى التسعين من عمره .. وكان من ظرفاء عصره وبؤسائه .. ويبدو أن شر البلية ما يضحك وما يندر .. فقد جعله العمى والبؤس والفقر أكثر تمسكاً بالحياة .. وأكثر سخرية من الناس أغنيائهم وأصحاب السلطان منهم وتفجر ذلك كله في مواقفهم وكلماته وأشعاره مع أهل زمانه ..





ابن منظور صاحب لسان العرب

بالرغم من التمزق السياسي الذي أصاب العالم الإسلامي بعد سقوط بغداد سنة (٦٥٦هـ) على يد التتار، فقد شهدت هذه الفترة ازدهاراً كبيراً في كثير من فنون الأدب واللغة والشعر، وأصبح مركز هذه النهضة الأدبية الكبيرة في مصر، كما شهدت هذه الفترة ازدهاراً في فن الموسوعات العلمية التي حفظت لنا التراث العربي من الضياع .. من ذلك مثلاً : معجم الأدباء - ومعجم البلدان (وكلاهما لياقوت الحموي) والنجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة (لابن تغري بردي) .

وكان في مقدمة تلك الأعمال الكبيرة : موسوعة اللغة العربية المعروفة باسم : معجم لسان العرب لابن منظور .

وابن منظور هو محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقي .

ولد في مصر (وقيل في طرابلس المغرب) في عام ٦٣٠ م .. وخدم في ديوان الإنشاء في القاهرة .. ثم ولي القضاء في طرابلس .. وأصيب بفقد البصر .. فلم يشته ذلك عن العمل .. احتضنته مصر .. كما احتضنت غيره من العلماء الذين وجدوا فيها يسراً في سبل العيش .. كما وجدوا فيها الأزهر الشريف ومساجدها ومدارسها المتعددة .. فكانت القاهرة مأوى للعلم والعلماء .

كانت حياة ابن منظور حياة عمل وجد موصول .. يدل على هذا أنه ترك تراثاً كبيراً من التأليف والاختصار .. بلغ نحو خمسمائة مجلد عدا ما نسخه بخطه الجميل من كتب القدماء .

وبرغم من إصابته في عينيه لم يكف يوماً عن البحث والتأليف .. بل شارك بفكره في علوم كثيرة ..

ولعل معرفته بالفقه قد أهلته لتولي منصب القضاء ..

أما في اللغة فقد أبدع : لسان العرب ..

واختصر كتباً كثيرة .. بعد أن حررها من الابتدال والأخبار الخرافية منها : مختار الأغاني ، الذي اختصر فيه كتاب الأغاني للأصفهاني .. ومختصر تاريخ بغداد للخطيب البغدادي في عشرة مجلدات .. ومختصر تاريخ دمشق لابن عساکر ..

ومختصر مفردات ابن البيطار ، ومختصر العقد الفريد لابن عبد ربه .. ومختصر زهر الآداب للحصري .. ومختصر الحيوان للجاحظ .. ومختصر

بنيمة الدهر للثعالبي .. وغيرها كثير .

وعلى مدى واحد وسبعين عاماً لم يتوقف هذا الرجل ، ولم يترك قلمه ، ولم يكف عن البحث بالرغم من إصابته بالعمى .. أما عمله الكبير (لسان العرب) فهو يمثل معجزة من معجزات التأليف الموسوعي في التراث العربي ..

وبذكر ابن منظور في صدر مقدمته لهذا المعجم أنه اعتمد على كثير من أمهات المعاجم التي سبقته وأهمها : المحكم لابن سيده ، والتعذيب للأزهري ، والجمهرة لابن دريد ، والمجمل لابن فارس ، والنهاية لابن الأثير ..

وفي مقدمة المعجم ينبهنا ابن منظور إلى أمر مهم جداً من الناحية الإحصائية التي لو بحثناها اليوم بالوسائل الحديثة لخرجت قريبة من آرائه في دقتها ..

فمن النتائج التي توصل إليها ابن منظور - ولم تكن لديه آلة حاسبة أو جهاز إلكتروني - علاقة نظم الحروف الهجائية داخل الأصل أو جذر الكلمة العربية . .

فهناك حروف يكثر تكرارها في اللغة العربية مثل : ا . ل . م . هـ . ن . و . ي ..

وحروف أخرى أقل في تكرارها مثل : د . ع . ق . ب . ت . د . س . ف . ج . ح ..

وحروف يقل تكرارها عما سبق مثل : ظ . غ . ث . ز . ح . ص . ذ ..

وهكذا أخذ يصنف الحروف بحسب تكرارها .. وتجاوزها ..

ومنذ ربع قرن قامت لجنة من علماء مصر اللغويين بإشراف الدكتور إبراهيم أنيس - عميد دار العلوم الأسبق وعضو مجمع اللغة العربية - بتحليل معجم الصحاح للجوهري . وهو أقل من لسان العرب وإن كان على نغمة .. واستخدموا الكمبيوتر في هذا التحليل .. فتوصلوا إلى نتائج إحصائية قريبة جداً مما توصل إليه ابن منظور - الذي لم يكن يملك أجهزة علمية ..

ولا شك أن شهادة علمية عصية كهذه .. تضع الرجل في مكانة خاصة من علماء عصره والعصور التالية عليه ..

فإذا كنا أمام رجل عمل بالقضاء .. وكف بصره .. وامتلك ناصية اللغة .. فقدم لنا عملاً معجزاً بلسان العرب .. فلا نملك أمام هذه الموهبة إلا التقدير والاحترام .. فقد وهب العرب معجماً ليس فقط يعنى بمفردات اللغة وإنما قدم فيه الشواهد من الكتب المقدسة والشعر .. وساق لنا المعاني واشتق منها ما يصلح لأي زمان قادم ..

إنه التحدي لكل قدرة إنسانية صحيحة قام بها رجل أحب العلم فأحب الحياة ..





بشار البق يرد شاعر الكبرياء

كان الاب يعمل طبيباً .. يضرب الطوب اللين .. وكان له ثلاثة أولاد :
بشر وبشير يعملان بالخزارة .. وبشار .. وقد كف بصره وهو في الرابعة من
عمره .. فحال ذلك بينه وبين العمل مع أبيه أو مع أخويه .. وعاش يعطف
عليه أبوه وأهله .. فقد كان قبيح الخلقة إلى جانب كف بصره وتركه أهله
لشأنه .. ولكنه حين أخذ يلعب مع أقرانه بدءوا يسخرون منه .. فهجر اللعب
.. وبدأ يحضر مجالس العلم والشعر .. فقد كانت البصرة آنذاك تحفل
بحركة علمية وأدبية كبيرة ومن ثم أحب اللغة والأدب وبدأ يقول الشعر في
من مبكرة .. وكان أبوه يحبه ويقول : ما رأيت مولوداً أعظم بركة من بشار
.. ولد لي وما عندي درهم .. فلما حال الحول جمعت مائتي درهم !

وبدأ بشار يتخذ من الشعر سلاحاً يدافع به عن نفسه ويهجو به كل من

يسخر منه ..

وكثيراً ما كان الناس يسرعون إلى أبيه ويشكون هجاءه .. فيضربه أبوه
أمراً بإياه أن يكف عن الهجاء، وتتدخل أمه وتستعطف أبيه أن يكف عن ضربه
.. وذات مرة قال بشار لأبيه : يا أبت .. إن هذا الذي يشكونه مني هو قول
الشعر .. وإنني إن داومت عليه أغنيتك ومساير أهلك .. فإن شكوتني إليك
ثانية فقل لهم : ليس الله يقول : (ليس على الأعشى حرج) ؟ فلما عاودوا
شكواهم .. قال لهم أبو (برد) ما قاله ولده بشار .. فانصرفوا وهم يقولون :
فقه برد أغبط لنا من شعر بشار ..

اتخذ بشار إذن الهجاء سلاحاً يشهره في وجه من ينتقص قدره أو يحجم
عن مكافأته على شعره .. فلم يسلم من لسانه الأمراء ولا البخلاء الأشحاء ..
ولا فحول الشعراء الحاقدين عليه .. وهو وإن ظن أنه عدواني . فقد اتخذ
الهجاء سبيلاً للكرامة والكبرياء ..

وحاول يوماً أن يهجو جريراً .. فلم يلق له بالاً، فقال بشار : هجوت
جريراً فاستصغرنى .. ولو هجائي لكنت أشعر أهل زمانى .

كان بشار أحد الشعراء الكبار في العصر العباسي .. وقد هجا عمرو بن
العلاء الراوية الشهير بقوله :

ارفق بعمرو إذا حركت نسبته فإنه عربي من قوارير
ما زال في كبير حدادٍ برده حتى بدا عربياً مظلم النور
إن حاز آباؤه في مضر جازت قلوب بخاري في الدنانير

إنه هنا يقول : إذا بحثت نسب عمرو بن العلاء فابحثه برفق لأنه سريع

الانكسار كالزجاج لضعفه .. لقد أخذ الحداد برده في كبره ليختبر حقيقته
فظهر له زيف معدنه .. وإذا جاز التعامل بالدنانير في بخارى - وهي لا
تتعامل إلا بالدرهم - لجازت نسبة آباء عمرو السفلة إلى قبيلة مضرا واجتمع
أدباء البصرة وعلمائها ضده وانتهى به الأمر إلى نفيه من البصرة عام ٧٤٤ م
إلى أن ذهب إلى بغداد وعاش في كتف العباسيين .. وبدأ ذلك بمدح الخليفة
المنصور بقوله :

سراج لعين المستضي ونارة يكون ظلاماً للعدو المزاحم

ونلاحظ هنا استخدام بشار - برغم عماء - للنور والظلام والعين .. بل
نجدته يتحدث عماء أكثر من مرة .. منها ما يقوله بعد ما هدده الخليفة :

يا منظرًا حسنًا رأيته	في وجه جارية فديته
بعثت إلى نسومي	برد الشباب وقد طويته
والله رب محمد	ما إن غدرت ولا نويته
إن الخليفة قد أبى	وإذا أبى شيئاً أبىته
وبشوقتي بيت الحبيب	إذا ادكرت وأبين بيته

فأى وجه حسن هذا الذي رآه بشار وعبر عنه في مطلع هذه القصيدة؟
وأى وعد وعده هذه الحسناء؟ إنه - كما نرى - أسلوب يفوق أصحاب
البصر .. وقد نال بشار حظوة كبيرة عند الخليفة المهدي جعلته يعجب بشعره
وحسن بديعته .. ويتغاضى عن هجائه إلى أقرب الناس له .. ويحكى أن يزيد
(خال المهدي) دخل على الخليفة وعنده بشار ينشده شعره .. فبعد أن

انتهى بشار من قصيدته .. سألته يزيد : ما صناعتك ؟ فاجابه بشار متعكفا :
ألقب اللؤلؤ .

فضحك المهدي وقال لبشار : أنتهكم على خالي في حضرتي ؟
فقال بشار : ماذا أقول يا مولاي وهو يرى شيخاً أعمى ينشد الخليفة
شعراً ويسأله عن صناعته ..
فازداد الخليفة ضحكاً !

وتختلف الآراء حول بشار وزندقته .. وهجائه المقذع .. وسخريته
اللاذعة .. ويبدو أنه كان يلجأ إلى هذا كله رافضاً أن يشعره أحد بالنقص أو
القيح ..

ومع ذلك فقد دبر يعقوب بن داود وزير المهدي مؤامرة ضد بشار
ليبتلع منه ومن لسانه .. وادعى أن بشاراً يرمى الخليفة المهدي وأم ولديه
بالفجور .. فما كان من المهدي إلا أن أمر بجلده حتى الموت .. وبعد أن مات
بشار .. أرسل الخليفة إلى بيت بشار من يفتشه فإذا بكتابهاته وأشعاره تثبت
إيمانه بالله وولائه للعباسيين، فلما قرأها الخليفة ندم على قتل بشار وقال : لا
جزى الله يعقوب بن داود خيراً ..

لكن صفحات التاريخ لا تخلو من سيرة هذا الشاعر الكبير الذي كان
عبقري زمانه .. محباً للحياة .. شامخاً في كبرياء بالرغم من محنته المظلمة .
وهي سيرة اختلف عليها الكثيرون .. لكنهم جميعاً يشهدون بشاعريته
وعبقريته ..



طله حسين والإرادة الصلبة

قليلاً ما يذيع التلفزيون هذا اللقاء الفريد الذى التف فيه حول طله حسين مجموعة من أبرز كتاب مصر يحاورونه .. ويداعبونهم .. وهو يحاورهم ويداعبهم .. ويفيدون من علمه وفكره.

وبالرغم من أن بعض الحضور قصد مشاكسته .. فإنه بكل هدوء وتعقل كان يمتص هذه المشاكسة ويحيلها إلى قضية فكرية تستحق المناقشة .. ونغمض أعيننا .. لنعود إلى هذه الشخصية التى عاشت محنة حيائية كبيرة، لكنها مع ذلك لم تستسلم لهذه المحنة .. لكن الإرادة الصلبة كانت دائماً مشعلاً مضيئاً فى كل طريق ..

كان الميلاد فى الرابع عشر من نوفمبر عام ١٨٨٩م فى قرية (عزبة الكيلو) التى تبعد عن مغاغة بمحافظة المنيا بمقدار كيلو متر واحد ..

كانت الحياة فى ذلك الزمان بسيطة عشوائية .. فلما أصيب طه - فى

السادسة من عمره - بمرض الرمد الصديدي في عينيه .. ذهبوا به - كالعادة - إلى حلاق القرية .. الذي تسبب بجهله في فقد الصغير بصره ليعيش طوال عمره بهذا المنة ..

وتبدأ حياة الصغير الضربير تتبدل .. بدأ يستحي أن يأكل مع إخوته .. وحرّم اللعب مع أصدقائه في مثل سنه .. وكان عليه أن يذهب إلى الكتّاب ليحفظ القرآن الكريم ..

لكنه بالإضافة إلى الكتّاب .. شغف بالاستماع إلى القصص وشاعر الربابة الذي يحكي السير الشعبية .. وما إن أكمل حفظ القرآن الكريم حتى لقب بالشيخ طه .. وقرر أبوه أن يرحل طه مع أخيه إلى القاهرة للانحاق بالأزهر، ويصبح شيخاً حقيقياً مثل هؤلاء الذين يسمع عنهم وبراهم ..

أما أخوه الذي كان سيرا فقه لدراسة الطب بالقاهرة .. فقد داهمه مرض الكوليرا وقضى عليه .. وبقي على طه أن يرحل لاستكمال الدراسة الأزهرية ويجد طه حسين مثلاً أعلى يتعلق به هو أبو العلاء المعري .. فأقبل على دراسته ومعرفة أسرار حياته لعل ذلك يغدو أنيساً له في محنته ..

ويلتحق بالأزهر ويكتشف أن هناك أساتذة يدعون إلى التجديد .. وآخرين يدعون إلى الجمود ..

لم تفتح الجامعة المصرية عام ١٩٠٨ م .. فتطلع إلى الالتحاق بها .. لكن كيف؟ وهل ستقبله الجامعة؟

وشاء القدر أن يقبل الفتى في الجامعة ويبدأ فيها حياة علمية منظمة على أيدي أحمد لطفي السيد وعبد العزيز جاويش وحسن المرصفي وغيرهم، ممن كانوا يكتبون مقالات أدبية ونقدية في الصحف، وكان سعيداً حينما بدأ يكتب معهم في الصحف ..

وفي يوم استدعاه الشيخ عبد العزيز جاويش - وكان معجباً بكتاباته وقال له : أفكر يا فتى أن نفعل شيئاً من أجلك .. لا بد من سفرك إلى فرنسا عامين أو ثلاثة أعوام ..

كانت مفاجأة صادمة مفرحة معاً .. لم يتوقعها الفتى .. لقد تذكر أن أستاذه أحمد لطفي السيد قال له يوماً : لو دأومت على أسلوبك هذا فسوف تكون لك مكانة لا تقل عن مكانة فولتير في الأدب الفرنسي ..

ترى شاء القدر أن تتحقق هذه النبوءة .. وبذهب إلى حيث عاش فولتير .. فرمما لاحقه وصار في مكانته .

لقد كان يتمنى أن يكون مثل أبي العلاء المعري (رهين المحبسين) لكن لا بأس أن تتضاعف الامنيات ..

إنه يمتلك الإرادة القوية .. والعزيمة التي لا تلبث .. ويواجه بكل صلابة كل المعوقات، وبدأ يحيل ظلامه إلى نور وأمل .

راح يتعلم اللغة الفرنسية بإرادة حديدية .. حتى استوعبها وتحدث بها كأنه واحد من أهلها ..

كان متأكداً أن اللغة معبر نحو ثقافة أخرى مختلفة ..

وبعد أخذ ورد من الجامعة، وافقت الجامعة على سفره بصحبة أخيه .. وكان ذلك في عام ١٩١٤م (وهو في الخامسة والعشرين من عمره)، كان أقصى ما كان يتمناه أبوه أن يصير شيخاً زهرياً معصماً يخطب الجمعة .. وبفتى في العبادات .. ويقدم الوعظ والمشورة .. فإذا به يتخطى ذلك كله إلى لغة أخرى .. وثقافة مختلفة .. بل ومجتمع منطور ليس كعزبه الكيلو .. ولا حتى القاهرة آنذاك .. إنها باريس .

ركب الباخرة من ميناء الإسكندرية لتتجه به إلى مارسيليا الميناء الفرنسي الشهير ..

ثمانية أيام كانتها الدهور .. يحلم .. ويتوقع .. ويخاف .. ويتوجس ويشعر بالخطر .. ويعزى نفسه بالقوة الداخلية .. لتنافضات كثيرة عاشها الفتى في رحلة البحر ..

وجد الفتى في صحبة أبي العلاء عزاء له . وفي ذلك يقول في (الأيام) :
(برحم الله أبا العلاء .. لقد ملا نفس الفتى ضيقاً بالحياة .. وبغضاً لها .. وأبأسه من الخير .. وألقى في روعه أن الحياة جهد كلها ومشقة كلها .. وعناء كلها) .

ثم شاء القدر أن يلتقي بفتاة فرنسية تسمى (سوزان)، لكي تكون فائزة له .. فبدأت حياته مرحلة جديدة من الإشراق والسعادة .. وتبدأ بينهما عاطفة قوية تنتهي بالزواج بعد عدة سنوات ..

والحقيقة أن سوزان كان لها أثر كبير في حياة طه حسين الشخصية والعالمية فقد كان الحب بينهما تظلمة المعرفة والعلم .. فوقفت إلى جواره

تسانده وتشد من إرادته حتى حصل على الليسانس وعلى الدكتوراه .. عاد الزوجان الى مصر ومعهما وليدهما الأول عام ١٩١٩ م .

ويعمل طه حسين أستاذاً للتاريخ القديم في الجامعة المصرية .. وفي عام ١٩٢٨ م يصبح عميداً لكلية الآداب .. ولكنه سرعان ما استقال من عمله احتجاجاً على طلب منح كل من « علي ماهر » و « عبد العزيز فهمي » و « توفيق رفعت » و « إبراهيم يحيى » درجة الدكتوراه ..

ثم عين وزيراً للثقافة .. وهو صاحب فكرة أن التعليم حق لكل إنسان مثل الماء والهواء .

تلك كانت رحلة طه حسين .. الذي وقف أمام الصعاب بقوة وإرادة ولم يستسلم لفقد بصره ولا لبؤسه وإنما حال كل محنة إلى قوة وإضافة إلى الحياة ..

وتعدد نشاط طه حسين الأدبي والعلمي والسياسي .. فقد ترجم عن الفرنسية لراسين وفولتير وأندريه جيد .. وكتب في الإسلاميات : الوعد الحق - علي هامش السيرة - مرآة الإسلام - الشيخان - الفتنة الكبرى ..

وكتب عن أبي العلاء : ذكرى أبي العلاء المعري - تجديد أبي العلاء .. وفي الدراسات الأدبية : حديث الأربعاء - حافظ وشوقي - الشعر الجاهلي - خصام ونقد ..

وفي القصص والرواية : دعاء الكروان - شجرة البؤس - المعذبون في الأرض - الحب الضائع - وعن سيرته الذاتية : الأيام - أديب ..

إلى جانب أعمال أخرى كثيرة سجلت له تاريخاً علمياً وأدبياً رفيعاً ..
لقد كان ثائراً على التخلف والقيم والتقليدية .. وداعياً إلى التجديد والتطور
.. مزج ثقافته العربية بثقافة الغرب .. فكان رائداً من رواد التنوير .. إن طه
حسين مثل للإرادة القوية التي شقت طريقها في الصخر فحفر بأظفاره فيه
حتى كتب لنفسه تاريخاً حافلاً بالمنجزات.

وفي ٢٨ فبراير عام ١٩٧٣م رحل طه حسين بعد أن اطمأن إلى عبور
الجندي المصري إلى صحراء سيناء، فمات مستريحاً بعد أن ترك لنا تراثاً لا
يموت .





صباحي الجيار ملجئة الصبر والألم

كانت فرحة الأسرة كبيرة بقدوم هذا المولود الجديد (صبحي) للتاجر الكبير عزيز أمين الجيار الذي ورث العمل بتجارة الجير أباً عن جد ..

اكتشفت القابلة أن الطفل يبكي بحرقه شديدة لأن الحبل السري يلتف حول رقبته ويكاد يخنقه .. فأسرعت بقطعه .. ولكنها هزت رأسها في حزن فلما سُئلت : لماذا أنت حزينة ؟ أجابت : لأن الطفل الجميل سيلاقى في حياته صعوبات وقبوحاً كثيرة ..

وتمضي الأيام .. وتنسى الأسرة هذه النبوءة المتشائمة .. ويشتب صبحي .. ويعيش طفولة سعيدة .. وكان متفوقاً في دراسته .. وكثيراً ما كانت أمه تجلس إليه وتحكي له الحكايات الخيالية والأساطير .. مما جعله يعشق قراءة القصص والروايات ..

وكان الفتى شغلة من النشاط والحيوية .. يلعب كل الألعاب .. بهوى

الرسم والموسيقى ومحاكاة الأصوات .. وإصلاح الأشياء .. أما هواية القراءة فقد بدأت لديه في سن مبكرة؛ حيث أقبل يشتري من مصروفه اليومي المجلات .. وروايات الجيب وقصص للجميع .. وينشئ مكتبة صغيرة له في البيت ..

ويلتحق صبحي بمدرسة الإبراهيمية الثانوية بجاردن سيتي .. وكان من المتفوقين في الدراسة .. حتى جاء اليوم الثالث والعشرين من ديسمبر عام ١٩٤١م (وهو في الرابعة عشرة من عمره) وكان قد انتهى من لعب الكرة مع أصدقائه .. وفي طريق عودته إلى البيت أحس بالألم شديد في كعب قدمه اليمنى ..

لم يهتم بهذا الألم في البداية .. لكنه فوجئ بأن الألم يمتد بسرعة إلى الركبة اليمنى ثم يمتد عبر فخذه .. ثم يمتد إلى ساقه اليسرى كذلك .

أسرع أبوه إلى الأطباء .. فشخصوا المرض بأنه روماتيزم حاد يصيب المفاصل .. وبدأ يتناول أدوية كثيرة .. لكنها لم تكن ذات جدوى ..

وينقطع صبحي عن الدراسة سنتين طويلتين .. قرر بعدها أن يواصل دراسته راقداً فوق سريره .. ومن ثم ساعده أخوه في إحضار الكتب حتى استطاع أن يتفوق بنظام المنازل ..

ويستمر الألم ينهش جسده صبحي ..

لم يعد جسده يتحرك ما عدا الكتفين .. ونصف الذراعين وأصابع اليد .

لكن صبحي الجبار بما يملكه من إرادة وأمل .. لم يستسلم لهذا

الباس .. بدأ من نقطة الصفر - على حد تعبيره - فتناسى هذه القيود جميعاً .. واستطاع بموهبته وقلمه أن يشق جدار سجنه هذا إلى عالم أرحب . كان يؤمن بالحكمة التي تقول : الحياة كأس مملوءة إلى نصفها .. يرى المتفائل نصفها المملوء .. أما المتشائم فلا يرى إلا نصفها الفارغ . ومن ثم كان صبحي متفائلاً برغم هذه القيود اللعينة .. وبدلاً من الصمت والحمود أخذ ينشئ في زوايا نفسه باحثاً عن مواهبه الدفينة .. فأمسك القرشاة ليرسم .. والقلم ليكتب ..

ويحكى صبحي في كتابه « ربع قرن من القيود » أن المرض أتاح له وقتاً طويلاً للتفكير والتأمل .. وفرصة كبيرة للاطلاع الغزير والإنتاج الأدبي والفني فعصر بذلك عضواً فاعلاً في المجتمع يعيش مع الناس .. ويبتسم وهو يكافح ثم يتصل بالصحف والمجلات ويرسل إليها رسومه وقصصه .. ويراهم منشورة باسمه .. فيدخل ذلك السرور والتور إلى وجدانه .. ويبدأ بكتابة القصص البوليسية .. وينشر قصته الأولى (من أول نظرة) في عام ١٩٤٦ في مجلة المصباح ..

ثم تنوعت منشوراته بين الرسم والقصة المؤلفة والقصة المترجمة .. وتغضى الأيام فتغلق بعض المجلات أبوابها لصعوبات مادية .. ويفكر صبحي الجبار في إصدار مجلة أدبية يبذل فيها كل طاقته وخبرته .. وفي يوم ٣ يناير ١٩٥٤م يصدر العدد الأول من مجلة (قصص) في شكل كتاب أدبي يقع في مائة صفحة وبغلاف أثيق مطبوع بثلاثة ألوان . لكن نتيجة توزيع هذا العدد كانت مخيبة لآمال صبحي .. فقرر أن يضغط المصروفات ويقوم بنفسه بكل شيء .. الرسم والترجمة والتصحيح والحسابات والاتصال بشركات التوزيع ..

وقمر الشهور .. ويرتفع توزيع المجلة وتحتضن أسماء كثيرة من كتاب القصة في مصر .. والذين صاروا فيما بعد من رواد هذا الفن .. وبعد سبعة وعشرين عدداً لم يستطع صبحي أن يواصل أمام الحسائر المادية الكبيرة .. فتوقفت المجلة عن الصدور ..

ولم يتدم صبحي على ذلك .. بل انطلق بفرغ طاقته الفنية من سريره الدائم إلى كل مكان .. ينشر ويترجم .. ويرسم بلا توقف .. ويفوز صبحي بجائزتين لنادى القصة في عام ١٩٥٧ م .. ويعلن يوسف السباعي سكرتير النادى تخلف صبحي عن الحضور .. فصار مرضه وساماً يرفع من قدره أمام أصدقائه ومحبيه .

وتصدر الصحف تشيد بموهبة صبحي الجبار الذى فاز بجائزتين .. ثم يدعو عبد الرحمن الشرقاوى إلى علاجه مع صديقه حسين القبانى فى الخارج على حساب الدولة .

ويسافر صبحي إلى لندن لأول مرة فى حياته معلقاً بسقف الطائرة .. لكنه يعود بلا علاج .. فيعيش هكذا صابراً فى قيوده .. حتى آخر رفق فى حياته ..

وبدا يمارس حياته من جديد ويجتمع حوله أصدقاؤه ومحبيه .. وتقوم على خدمته سكرتيرته الخاصة السيدة نعمات عيسى التى ألفت عمرها فى خدمته اعترافاً منها بقدره وموهبته .

إنها مسيرة إنسان عظيم عاش بالأمل والصبر والتحدى حتى رحل عن عالمنا فى عام ١٩٨٧ م مكملًا ستين عاماً من العطاء وحب الحياة .



عبد الحميد يونس رائد الأدب الشعبي

عاش الفتى ستة عشر عاماً كما يعيش كل فتيان جيله .. دخل المدرسة الابتدائية وحصل على شهادتها في عام ١٩٢٣ م .. ثم حصل على شهادة الكفاءة عام ١٩٢٥ م .. ثم رسم لنفسه حلمًا طموحاً .. تجسد في ضرورة دخوله الجامعة كما يفعل المتفوقون ..

وبأبني العام السادس عشر من عمره (١٩٢٦ م) لقيصاب في عينيه بمرض .. ولم تتمكن أسرته من علاجه .. ففقد بصره تماماً ..

جلس الفتى يدير في ذاكرته مشاهد الحياة من حوله .. وما تزخر به الطبيعة من جمال .. وما يحفل به العالم من مراثيات حسية مختلفة الألوان والاشكال والاحجام .. ثم سال نفسه : ترى هل أحرم رؤية كل هذا إلى الأبد؟ وكان هاتفاً بهتف به : هكذا أصبحت أيها الفتى في ظلمة كاملة .. ففكر ماذا تفعل ؟

لم يستسلم عبد الحميد يونس لهذه الخطة العاثية .. فتقدم إلى امتحان البكالوريا عام ١٩٣٠م ونجح فيه بتفوق .. وكان ترتيبه الثالث عشر بين مجموع المتشحين . واجتمع عليه أهله .. وجاءه من يعرض عليه أن يكون ناظر مقبرة لأحد الأمراء فرفض ذلك بقوة ..

وجاءه من يعرض عليه أن يكون رئيساً لمدرسة إلزامية صغيرة .. فنفر من ذلك العرض أيضاً .. وصمم على أن يواصل دراسته مهما كلفه ذلك الأمر . وتقدم إلى كلية الآداب جامعة القاهرة في عام ١٩٣٦م حيث يواجه موقفاً لا يتصل بالكشف الطبي الذي تختمه اللائحة .. وإنما يتصل بالامتحان الشفوي، فقد كان النظام الجامعي آنذاك يقضى بأن يمنحن الطلاب في جميع المواد امتحاناً تحريراً وامتحاناً شفوياً ..

وكانت العقبة أمام عبد الحميد يونس هو رسم الخرائط على السبورة، وأصر المتنحن أن يرسم عبد الحميد على السبورة .. لكنه لم يستطع ذلك ونال درجة ضعيف .. وجعله ذلك يمتنع عن الذهاب إلى الجامعة .. حتى عدلت اللوائح بعد ذلك وأعفى من رسم الخرائط ..

ويحصل عبد الحميد على الليسانس في عام ١٩٤٠م .. والماجستير عام ١٩٤٦ .. والدكتوراه في الأدب الشعبي عام ١٩٥٠م .

كان الرجل يتقن اللغة الإنجليزية إجادة تامة وكذا اللغة الفرنسية فلم تكن أمامه صعوبة في الفهم والنقل عن اللغات الأخرى ..

وشغلته مشكلة البطالة زمناً .. وتذكر هذا العرض التقديمي الذي عرض عليه ليكون ناظر مقبرة أحد الأمراء .. وتصور لو أنه كان قبل هذا العرض ..

لا لشيء إلا لأنه كفيف .. لا يصلح للتعليم ولا لأية مهنة أخرى ..

وحمد الله أنه لم يستسلم .. وأنه تحدى كل الظروف التي أحاطت به ..
وأخذ يبحث في موضوع البطالة ووسائل علاجها .. ونال عن هذا البحث
جائزة المرحوم علي ماهر عام ١٩٣٥ م.

لقد اتخذ عبد الحميد من البصيرة أداة له على تحمل الحياة ومخافات
البشر .. استنار بالبصيرة فأنارت له الطريق .. ووعى ما في داخله من طاقات
أودعها الله .. فجسد أحلامه وطموحاته بكل قوة واقتدار .. وها هو ينال
وسام الجمهورية عام ١٩٥٥ م وجائزة الدولة التشجيعية في النقد الأدبي عام
١٩٥٨ م .

وبعد عبد الحميد يونس من رواد الدعوة إلى دراسة الأدب الشعبي، وقد
أثمرت هذه الدعوة إنشاء تكمسي للأدب الشعبي القومي في الجامعات
العربية .. بعد أن كان مقصوراً على الأدب الفصيح .

ولم يكتف بذلك .. وإنما استثمر معرفته باللغات الأجنبية فقام مع بعض
زملائه بتنفيذ مشروع ثقافي ضخم هو ترجمة دائرة المعارف الإسلامية .. التي
تعد من أفضل دوائر المعارف المعاصرة .. وإلى جانب اللجان الأدبية التي
يشارك فيها ومؤلفاته المتعددة في مجالات الأدب الشعبي .. وترجماته عن
اللغات الأخرى . كان يكرس من وقته وجهده لرعاية المكفوفين .. فكان
رئيساً لجمعية النور للنهضة بمكفوفي مصر .. ونائباً لرئيس المركز النموذجي
لرعاية المكفوفين .. وترجم كتاباً مهماً في مجال المكفوفين هو (رحلة في
عالم النور) .

وكما حدث وأصيب عبد الحميد في عينيه وهو في السادسة عشرة من
عمره أصيب ولده أحمد كذلك في عينيه وهو في الرابعة من عمره .. لكن
هذه المحن وغيرها جعلت منه رجلاً صلباً لا يتحنى للعواصف .. بل جعلته
عاشقاً للحياة ..





محمود أبو الوفا ورحلة العطاء

لم يكند الطفل يبلغ العاشرة من عمره حتى أحس بالآلام حادة في قدمه اليسرى، ومع تاوهات حملته أبوه إلى صديقه الدكتور إبراهيم علي باشا رائد الجراحة في مصر آنذاك .. ولم يكن أمام الطبيب سوى أن يقطع ساق الطفل تخلصاً من هذه الآلام ..

ويعود الطفل إلى قريته (قرية الديرس مركز أجا دقهلية) ليجد أباه قد فارق الحياة .. وبشاء القدر أن يبدأ محمود أبو الوفا حياته بهذه المأساة المزدوجة .. ينز ساقه وفقد أبيه .. ليعيش بها طوال عمره ..

ترى ماذا يفعل هذا الصغير .. وكيف يحيا ويرسم مستقبله ..

لقد أحس أن قريته لم تعد تلك الطبيعة الساحرة .. ولم يعد أهلها أهل السماحة والكرم .. فقد أحس بنظرات الناس تشفق عليه وهي تراه بساق واحدة، وقد أمسك بعضا بتوهم أنها ساقه الأخرى .. !

كانت مرارة الحرمان من ممارسة الطفولة تنسلل إلى داخله حتى صارت عبئاً على نفسه البريئة الصغيرة ..

وفي صباح أحد الأيام أحس بأن كل شيء من حوله بمشابه القيود الفولاذية فدخل على أمه والدموع في عينيه، وطلب منها أن تعطيه جنينين .. وأسرع مسافراً إلى القاهرة .. هروباً من هذه الهواجس التي بنوء بها .. كان الطفل يقرأ في مكتبة أبيه كيف كان يرحب الحكام والخلفاء بالشعراء .. وكيف كان المتنبي يرسل تابعه إلى سيف الدولة فيهم للقاءه .. لماذا إذن لا يطلب مقابلة السلطان حسين ..

اقترب محمود من مكتب البريد وأرسل برقية إلى السلطان تقول: "مولاي إني مغلوب فانتصر".

ثم اقترب من قصر السلطان ووقف أمام البوابة الكبرى فترة طويلة لعل السلطان يستجيب له ويطلبه للقاءه ويلحقه بعمل يليق به .. لكنه لفت نظر الحراس .. فسألوه لماذا تقف هكذا ؟ فأخبرهم بما يريد .. فيرد عليه أحد الحراس :

- يا فتى .. لا نستطيع ان نقابل السلطان إلا بواسطة أحد الباشوات .. كانت هذه الإجابة كخيلة بإغراقه في اليأس والحرمان .. فعاد إلى قريته خائباً حزيباً ..

- لم يكن أمامه إلا الانتصار على هذا الشعور الذي يشتعل داخله، فلم يجد سوى أن يثقف نفسه ويقرأ مكتبة أبيه ..

ووجد لها فرصة للسفر إلى دمياط حيث لقي على أفندى العزبى أحد
أصدقاء أبيه وأحد الشعراء الكبار آنذاك .. وكان يعمل ناظرًا لمدرسة
الفتوح ..

رحب به على أفندى وأخذه بمعهد الدينى .. كما وجد له عملاً
فى المدرسة التى يقوم على إدارتها ..

ولم يوفق فى المعهد الدينى لأنه أثار عليه أساتذة المعهد وهو يسألهم
أسئلة محيرة خارج المنهج الدراسى .. فأبعدوه عن الدراسة فى المعهد ..
وسمحوا له أن يؤدى الامتحان (من منازلهم) .

وفى العام التاسع عشر من عمره (١٩١٩م) رحل إلى القاهرة لعله يجد
فيها عملاً مناسباً .. لكنه أخفق فى الحصول على وظيفة .. فلجأ إلى العمل
الحر .. وفتح محلاً يبيع فيه السجائر .. وخسر .. وفتح مطعمًا للقول ..
وخسر أيضاً .. وكان قد بدأ بتقن الشعر .. فأحس أنه لن يفلح فى أى عمل
تجارى وأن حياته سوف تؤدى به إلى ساحة الشعر فحسب .. وفجرت ثورة
١٩١٩م على لسانه قصائده الوطنية .. ولم تقعه ساقه المبتورة عن المشاركة
فى هذه الثورة .. وهو يقول:

يا ذوى العرفان من مصر اكسحوا عن أرضكم هذا الوخم.

وتبدأ رحلة أبى الوفا فى الندوات الأدبية .. ويعرفه الوسط الأدبى وفى
عام ١٩٢٧م أعلنت الدولة عن مسابقة لإقامة مهرجان شعرى تكريمًا لأمير

الشعراء أحمد شوقي .. فتقدم أبو الوفا إلى هذه المسابقة وكانت قصيدته الأولى .. ومن ثم وجهت له الدعوة لإلقائها في حفل يقام في معهد الموسيقى العربية ..

ويدخل شوقي باحة المعهد فيرى رجلاً يستند على عكاز ويلبس الجلباب، فأخبروه بأنه الشاعر محمود أبو الوفا الذي فاز في المسابقة وسوف يلقي قصيدته في المهرجان .. فتألف شوقي من هيئته .. وصاح : إما أنا وإما هو ..! وعلى الفور أسرع أبو الوفا يقول له :

- بل أنا الذي أخرج يا شوقي بك .. لانتك عريس الليلة ! وأسرع إلى أقرب مقهى .. يسجل مشاعره :

في ذمة الله نفس ذاتُ آمال

وفي سبيل العلا هذا الدمُ الغالي

بذلته لم أذقُ في العمرِ واحدةً

من الهناء ولا من راحة اليال

كأنني فكرةٌ في غير بيتها

بدت فلم تلق فيها أيُّ إقبال

أو أنني جئتُ هذا الكونَ من غلطٍ

فضاق بي رحيه الماهول والخال

ويبدأ أبو الوفا رحلة نشر الشعر .. ويعني له عيد الوهاب : عندما يأتي

المساء .. ويصل ذلك إلى سمع أحمد شوقي .. فيسعى إليه معتذراً ويشترك
في حفل تكريمه قائلاً:

خلف البهاء على القريض وكأسه

فسقى بعذب نسيبه العشاقا

البلبل المغرّد الذي هزّ الربى

وشجى الغصون وحرك الأوراقا

سباق غابات البيان جرى بلا

ساق .. فكيف إذا استرد الساقا

غالى بقيمته فلم يصنع له

الا الجناح محلّقاً .. خفاقا

وشكره أبو الوفا .. وصارا صديقين ..

ويسعى له أصدقاؤه لدى إسماعيل باشا صدقي لكي يعالج في الخارج
على نفقة الدولة .. لكنه يكشف أن الموافقة لن تتم إلا بكتابة أبيات قليلة
من مدح الباشا .. فرفض .. لكن السيدة هدى شعراوي استطاعت أن
تنوسط دون إهانة الشاعر .. وسافر إلى باريس ليحصل على ساق صناعية ..
ويتقلب محمود أبو الوفا في بعض الوظائف الأدبية، لكنه ظل محافظاً
على كرامته طوال عمره.

و في عام ١٩٦٩م حيث أصيب بالعمى .. بعد تسعة .. وفي عام ١٩٧٢م
أصيب بالذبحه الصدرية .. وظل يعاني آلامها حتى عام ١٩٧٩ حيث رحل
عن العالم ولسان حاله يقول :

علينا نؤدى للحياة رسالةً هى الحب حتى ليس للحب مانعُ

كذلك أدعو الطير تحيا هوائفاً مغردةً ما عاش فى الروض ساجعُ

رحل محمود أبو الوفا تاركاً لنا نموذجاً عظيماً لعشق الحياة .. والعطاء
الذى لا يتوقف أمام أية محنة ..





حسين القبانى والصعود فوق المحن

كان الحاج محمد القبانى يعمل بالتجارة .. وكان قد طلق زوجته الاولى (هند) ومعها اولاد ثلاثة .. وتزوج بأخرى سرعان ما رحلت عن الحياة تاركة ثلاثة من الاولاد الصغار .. كان اكبرهم هو حسيناً .. وأوسطهم جمال .. وأصغرهم فاطمة ..

وفى عام ١٩٢٧م - وقرر الحاج محمد القبانى أن يحج إلى بيت الله الحرام ..

ويذهب الأب إلى الأراضى المقدسة، لكن شاء الله ألا يعود إلى وطنه وأولاده ويدفن هناك .. مات الأب تاركاً إيراداً شهرياً لا يقل عن مائة جنيه - وكان هذا مبلغاً كبيراً آنذاك - وكان إيراداً كفيلاً بأن يعيش الأولاد حياة كريمة فى بيتهم الكبير بجزيرة الروضة بالقاهرة ..

لكن لم تسر الأمور كما ينبغي .. وسرعان ما اقتحمت مطلقة الأب

وأبناؤها البيت الكبير وأقامت فيه .. بل رفعت قضية لضم الأولاد إلى أخيهم الأكبر (هاشم) .. حتى تستفيد هي وأبناؤها من ميراث الأب الكبير ..

بدأ الطفل حسين بفاجأ بافتحام الينم والحرمان وفسوة زوجة الأب التي صممت على أن يعيش حسين وأخوه جمال في البدروم الرطب من البيت الكبير .. وأن تعيش فاطمة مع جدها في ميت غمر .

لم يكن هذا البدروم صالحاً لحياة بشر ولا حيوان .. وكثيراً ما ملأته مياه الفيضان في شهري أغسطس وسبتمبر .. في حين عاشت المرأة مع أبنائها يستمتعون بالطابق العلوى المؤثث جيداً وبالولائم الصاخبة .. وكثيراً ما كانت المرأة تطلب من حسين وجمال أن يقوموا بأعمال الخدم والنظافة برغم وجود خدم في البيت .. فإذا حاولا العضيان .. عاقبتهما بالحرمان من الطعام ومن المصروف اليومي الضئيل .

وتتوالى أيام الشقاء والحرمان وسوء المعاملة ورطوبة الجو في البدروم والآلام النفسية والينم .. حتى جاء يوم حاول فيه حسين أن يقوم من نومه ليذهب إلى المدرسة مع أخيه جمال كمعادتهما .. لكنه لم يستطع، فقد شعر بأنه محموم عاجز عن النهوض من الفراش .. وإذا ركبناه يصيبهما ورم والم شديدان لا يدري من أين جاءا .

لاحظ جمال عدم قدرة أخيه على النهوض ..

وحاول أن يساعد أخاه على النهوض .. لكنه اكتشف عجزه عن ذلك فجلس بجواره حزناً .. لكن حسيتاً طلب إليه أن يذهب هو إلى المدرسة ويتركه ..

عاد جمال من المدرسة ظهراً فرأى أخاه يزداد وجعاً وألماً واكتشف أن أحداً لم يسأل عنه .. لا مفر إذن من الركود في هذا الجو الرطب .. وملازمة أخيه له ومساعدته في كل شيء .

ويصل الأسرة خطاب من المدرسة يهدد بفصل حسين .. فيهيئ إليه الوصي " أخوه الكبير من زوجة الأب " وبطلب الذهاب إلى الطبيب لاستحضار شهادة طبية تتيح له التقدم لامتحان آخر العام .. وقرر الطبيب أن الفتى مصاب بنزلة معوية حادة .. وروماتيزم حاد وباراثيرويد .. وخشيت زوجة الأب وأبنائها على أنفسهم من العدوى فأرسلوا به إلى قسم الأطفال بمستشفى " الملك " بالمدينة حيث مكث هناك خمسة عشر شهراً ..

ويقرر الأطباء خروج حسين من المستشفى بعد أن يفسوا من شفائه، وكان قد صار مقعداً تماماً ..

ويحاول الجد في القرية أن يعزل الوصي - الأخ الأكبر - لأنه أساء التصرف وتسبب في مرض حسين .. لكن المحاولات باءت بالفشل .. وكان مرض حسين قد تسبب في انقطاعه عن الدراسة أربع سنوات لكنه - وقد صار يتعايش مع محنته - قرر أن يستأنف الدراسة .. فحصل على الشهادة الابتدائية في الوقت الذي حصل فيه شقيقه على شهادة الكفاءة (الثانوية)

وتنتقل الأسرة الصغيرة : حسين وجمال وفاطمة إلى حي باب الشعريّة في غرفة صغيرة .. ويواصل حسين تعليمه .. واعتمد الإخوة الثلاثة على أنفسهم .. ثم انتقلوا في أطراف ضاحية حلوان .. وكان حسين قد بدأ يقرأ

كل ما يقع في يده من كتب .. فإذا ملّ القراءة تناول فرشاة الرسم بالزيت
ليرسم المناظر الطبيعية .

وفي يوم قرأ سيرة ذاتية لأحد كبار الكتاب .. وكيف بدأت محاولته
الأولى للكتابة .. وهنا سأل نفسه : أنت تقرأ كثيراً فلماذا لا تكتب ويكون
لك اسم شهير في عالم الإبداع ..

كان ذلك في نوفمبر ١٩٤٠م حيث أمسك القلم ليكتب قصة قصيرة
ولم يتوقف منذ ذلك التاريخ عن الكتابة والنشر .. وسمع يوماً عن معهد
بريطاني لتعليم الصحافة والتأليف عن طريق المراسلة فاشترك في هذه الدراسة
واستفاد منها كثيراً ..

وفي عام ١٩٤٧م صدرت له أول مجموعة قصصية بعنوان (ينفطة الروح
) ومنها أول قصة كتبها (زوجة الأب) .. وفاز بالمجموعة في مسابقة نادي
القصة ..

وفي عام ١٩٤٩م صدرت له رواية (دعاء الفجر) وهي رواية طويلة ..
وفي عام ١٩٤٨م أصدر مجلة (المهرجان) التي تهتم بالقصة القصيرة ..

وتتوالى أعماله المؤلفة والمترجمة طوال حياته التي عاشها ببساطة وقوة
وإرادة وأمل .. متحملاً كل الصعاب والمشاق .. فكان مثلاً رائداً لمن يعشقون
الحياة .. ويعيشون حياتهم بكل ما فيها من جمال واستمتاع ..





محمود صليح والفن الجميل

ربما ذهبت يوماً لتستمع إلى الموسيقى العربية القديمة .. وتستمع بتلك النغمات العذبة التي كانت تعبر عن صدق المشاعر والقدرة على إشعال الروح بالعاطفة والمتعة الثمينة ..

ولابد أن البرنامج لهذا الحفل كان يضم موشحاً أو مقطوعة موسيقية أو قصيدة مغناة للموسيقى البارع محمود صليح ..

إن محمود صليح كان أحد البارعين في فن الموسيقى والغناء خلال النصف الأول من القرن العشرين في مصر .. لكنه عاش بمحنة شديدة لازمتة منذ كان في الرابعة من عمره .. وهي محنة كف البصر ..

فقد ولد في عام ١٨٩٨م طفل أسماه أبوه (محموداً) .. وكان يتمنى الأب أن ينشأ هذا الطفل ويشب ليساعده في عمله وتجارته للأخشاب .. لكن القدر قد رسم له طريقاً آخر .. حيثما رمدت عيناه في الرابعة من عمره

وبذل الأب كل جهده في علاجه بلا جدوى .. ونسب ذلك في انطفاء نور عينه ..

لم يجد الأب أمامه سوى الرضا بما قسمه الله وقضاه .. فادخل ولده الكتاب لحفظ القرآن .. ولم يبلغ العاشرة حتى اتم حفظ القرآن وتجويده .. لكن علاقته بالكتاب لم تمنعه من ممارسة طموحه الخاص .. فكان يجمع حوله أصدقاءه ويكون منهم (جوقة) وينشد معهم أناشيد المولد .. كثيراً ما كان يسير في مواكب رؤية رمضان .. ينشد الأناشيد الدينية بصوته الصغير .. ويعجب به الناس .. كما أحب تلاوة القرآن الكريم ..

أما ممارسته للعب .. فقد كان يحب لعبة الخزروف (النحلة) حيث كان يرميها على الأرض .. لتدور بصوتها المنتظم .. ثم يطأطي رأسه منحنيًا إلى الأرض لسمع صوتها وهي تتحرك وتدور ..

كما كان يصنع عودًا يدائيًا صغيرًا ويشد خيوط الدوبارة بين خشبتين ويضرب غلبة ويعني .. تعلق إذن يحب الموسيقى منذ نعومة أظفاره .. وكان ذا صوت حسن عريض .. يمكن أن يستوعب ألحانًا صعبة بسهولة شديدة ..

كان الشيخ محمود وهو فتى .. يحب أن يزور أصدقاء أسرته من أصل تركي .. فأعجبه هذه اللغة .. وقرر أن يتعلمها لكي يستطيع التحدث بها معهم .. وكان تعلمه لهذه اللغة فتحًا لتعلم ومعرفة كثير من الموسيقى التركية وفن الغناء هناك ..

وفي البيت التركي طرق سمعه (البيانو) .. فطلب أن يتحسسه

ويعرف عليه السلم الموسيقى .. وبسرعة فائقة استطاع أن يتعلمه ويعرف عليه بمهارة .. وكان هذا أول عهده بالآلات الموسيقية .. وكان آنذاك في الرابعة عشرة من عمره .

تم تعلم آلة العود بطريقته الخاصة .. وكانت له طريقته المميزة في العزف .. ولم يكتف بذلك .. بل أخذ يقرأ القرآن في المساجد والاحتفالات بصوت رخيم جميل .

جمع إذن في ثقافته الموسيقية بين الشرقية والتركية .. وأخذ يتنهل منها .. ويؤلف ويغنى بأسلوبه الجميل .

وقام بتلحين أول موشحة له وهو في الخامسة عشرة واستمع إليه الشيخ سلامة حجازي الموسيقي المعروف فتنبأ له بمستقبل باهر في عالم الغناء والموسيقى .

وكانت مصر في أوائل القرن العشرين تحفل بمدارس موسيقية كثيرة وكانت المنافسة على أشدها بين سيد درويش وسلامة حجازي وعبد الحامولي ومحمد المصلوب وغيرهم .. فقرر محمود صبح أن يدخل هذه المنافسة الفنية بأعماله المختلفة حتى لفت إليه الأنظار ..

وكان يتميز بالزهد ولا يهتم المال .. بل كان كل أمله أن يتفوق في الموسيقى فقد أحبها وجعلها طموحه الأول في حياته .. وكثيراً ما كان يصاب بضائقة مالية .. لكنه كان يابى دائماً أن يتبدل بغنه حتى يفرج عن نفسه هذه الضائقة .. بل كان معتزاً بكرامته مخلصاً لفنه سامياً بكل هذه القيم التي يسعى إلى تحقيقها .

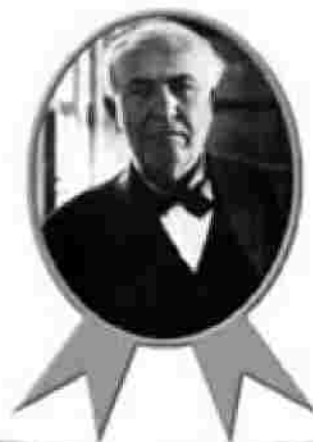
لم يعقه كنف بصره عن تحقيق ما يتمناه .. بل شق طريقه في إصرار وعزم وإرادة .. غبر عابئ بسخرية الناس .. أو آرائهم فيه .. وكثيراً ما نشرت الصحف ما أسعده وما أحرزه .. ولكنه كان واثقاً من قدرته على العطاء .. ولم يضق بأى نقد وجه إليه ..

ويذكر أنه فى عام ١٩٣١م أملى على ولده خطاباً وجهه إلى أحد الباشوات الذين يعزهم ويعزونه .. عاتبه فيه عتاباً شديداً على أمر بدر منه، فما إن وصل الخطاب إلى الباشا حتى سعى إليه مهرولاً فى بيته .. وكان محمود صبح فى الدور الخامس .. ووقفت عربة الباشا أمام البيت وأرسل من يطلب الشيخ محموداً .. لكنه قال للمرسول: على الباشا أن يصعد لى فهو ضيقى .. وبالفعل صعد الباشا وأخذ يسترضيه حتى صفت نفسه .. وحينما بدأت الإذاعة فى بث برامجها كان الشيخ محمود صبح من أوائل الذين شاركوا بالحلانهم فى بثها من الإذاعة .. وكان من أصدقائه الذين غنى لهم : أحمد رامى - محمود يونس القاضى - إبراهيم الدباغ - محمد غالب المهندس - د. حسين الأيوبى - محمود لبيب وغيرهم من مؤلفى ذاك الأوان ..

وفى أوائل عام ١٩٤١م هاجمه مرض لعين أودى بحياته بعد أن ترك لنا تراثاً موسيقياً رفيعاً .. ونموذجاً حياً للإرادة الإنسانية القوية .



الشخصيات الأجنبية



توماس أديسون رجل انضاء العالم

عانت الأم كثيراً حينما حان موعد الولادة .. ولم تكن العمليات
القيصرية قد عرفت حتى تخلص الأم من هذه المعاناة ..

وتلد الأم بصعوبة .. فقد كان رأس الطفل كبيراً وبشكل غير عادي ..
كان ذلك في الحادي عشر من فبراير عام ١٨٤٧م .. حيث تلقى العالم ميلاد
توماس أديسون ..

وظل كبير حجم رأس أديسون يعوقه عن المشي وهو طفل .. ويفقده
توازنه و حار الأطباء في علاج هذا العيب الخلقى .. هل خشى الأب أن يكون
ولده من البلهاء الذين يتصفون بكبير حجم الرأس .. وكثيراً ما كانت الأم (
نانسي) تتشاجر مع جيرانها وهم يسخرون من ولدها الذي يرونه دائماً يحنى
رأسه فوق صدره .. ويطلقون عليه : (أبو رأسين) .

لكن هذا الرأس الكبير كان مملوءاً بالعبقريّة التي بدت في تفكيره
وسلوكه وهو لا يزال طفلاً ..

من ذلك مثلاً أن جيرانه كانوا يمتلكون عربة لها صرير مزعج يشكو منه كل الجيران .. ففكر أديسون كيف يمنع هذا الصرير .. ووصل إلى علاجه .. بتشحيم العجلات بدهن الطعام .. فانقطع الصرير ..

وبلغ توماس السادسة من عمره فبدخله أبوه المدرسة .. لكنه لم يستطع الاستمرار فيها .. وغادرها بسرعة .. فقد استخف بالدروس الساذجة التي تلقى عليه ..

وتذكر أمه عبقريته المبكرة وتقف في وجه أبيه الذي كان يفسو عليه ويراه كسولاً وغيبياً وبليداً .. وكثيراً ما كان يضربه ويوبخه أمام أصدقائه .. قرر توماس وهو في الثامنة أن يكون نافعاً للناس .. فبدأ يعمل في البناء .. ثم تحول بعد أن قل دخله إلى بيع الخضار في الأسواق من منتجات أرض أسرته .. وكان يعمل معه صديق له صغيراً اسمه مايكل .. وقد عملاً معاً .. وتمكنا من كسب أموال كثيرة .. لكن توماس أدرك أنه ليس مخلوقاً لكي يكون بائعاً أو بناءً .. فقد كان مفتوناً بالكيمياء .. يقرأ كثيراً فيها .. ويشتري من ماله بعض الأدوات والقوارير .

وفي غرفة سفلية من منزل أبيه جمع أكثر من مائتي قارورة مملوءة بأشياء عجيبة .. وألصق عليها كلمة (سُم) وراح يجري تجاربه الخاصة .

لكنه لم يكتب بذلك أيضاً .. فقد بدأ يكتب المقالات .. وأقنع أمه أنه سوف يعمل في بيع الصحف .. وكانت سنه قد بلغت الرابعة عشرة ففكر أن يصدر بنفسه صحيفة من صفحة واحدة ويبيعها مع الصحف الأخرى في القطارات ..

وحدث أن كان توماس يتخذ لنفسه مكاناً في عربة البضاعة .. فاستغل أرباحه لعمل معمل كيميائي صغير في ركن من هذه العربة .. يشمل أحماضاً وكيمائيات كثيرة تجري عليها تجاربه .

ومع اهتزاز القطار .. سقطت الزجاجات بالأحماض واشتعلت النيران في العربة .. وجاء حارس القطار وانهال على توماس ضرباً وصفعاً على أذنيه .. مما أصابه بالصمم المؤقت .

ومرة أخرى أخذ يجري وفوق صدره كمية من الصحف ليلحق بالقطار الذي تحرك من المحطة .. فما كان من محصل القطار إلا أن مند يده وأمسك بأذنيه يساعد على الصعود .

وبعدها أحس أديسون بضوضاء في أذنيه .. ثم أصيب بالصمم الكامل .. وكاد يفقد بصره أيضاً في حادثة أخرى حينما كان يجري اختباراً على سلك كهربى ملفوف .. فعلق يده بطرفي البطارية .. ولكي ينتزعها كان عليه أن يرجع إلى الوراء ويمسح سلك البطارية .. ولحسن حظه أغمض عينيه أمام انفجار حامض النيتريك الذي كان في البطارية .. لكن وجهه شوه قليلاً .

ترى .. أكان هذا كله لمن عبقريته ؟

بدأ أديسون بجمع شتات ذاته وعقله .. وسجل أول اختراع له، وكان جهازاً كهربائياً يسجل تلقائياً أصوات الناجحين في عملية الاقتراع .. ثم اخترع الفونوجراف . والمصباح الكهربى الذى أضاء العالم .. وودع به الظلام .. وآلة التصوير السينمائى .. وآلة العرض .. والمولدات الكهربائية الضخمة

وغيرها من المخترعات التي تزيد على ألف اختراع .. لقد صار بيت أديسون معملاً لكل جديد يفيد العالم .. ودعنا نستمع الى أحد الزائرين لبيت أديسون .. أخذ موعداً، وأدخل في غرفته الملكية التي تحتوى على أفضل الكتب والموسوعات العلمية .. وقد زينت الجدران أعلام العلماء والشهادات والأوسمة التي حصل عليها أديسون . ثم يدخل عليه أديسون ويستقبله في حفاوة بالغة ثم جلسا معاً .. وكان إذا كلمه الزائر وضع يديه وراء أذنيه ليجمع تموجات الصوت ثم قال : أنا أصم .. فقد ضربنى حارس القطار على أذنى وأنا فى الخامسة عشر .. وجذبنى انحصل منهما لكى أصعد القطار فمزق طبلة الأذن .. ولكن الصمم لا يوقفنى عن طموحى .. ولو أمكننى أن أشفى منه ما أخذت الشفاء .. لأن الصمم ساعدنى على التركيز فى أفكارى .. ثم إننى لم أخسر كثيراً بعدم سماعى ما يقوله أكثر الناس ..

وبواصل العالم الأصم شرح برنامج يومه بقوله : إننى أبدأ عملى قبل الساعة السابعة بعشرين دقيقة فأطالع أولاً صحف الصباح .. ثم أتناول فطورى .. وأمضى إلى معملى فى الثامنة وأمامى فيه عمل كثير يستغرق ساعات طوال .. وفى نهاية الليل أدون ما سوف أقوم به من أعمال فى اليوم التالى .. وهكذا .

نحن إذن أمام صورة المخترع العالم الكامل فى أذهان الناس .. لم يهتم بمظهره يوماً .. ولم يجلس على كرسي الخلاق قط .. ولا يعنى بمسرات الحياة ومظاهر الرفاهية فيها .. وكان الفريق الذى يعمل معه قد اعتاد على هذه الحياة ..

ظل أديسون - برغم صممه .. وتلك المحن التي عاناها - مخترعاً عظيماً وعبقرياً أفاد البشرية كثيراً بما قدمه لها في مجالات العلم المختلفة ..

لقد دهمه أخيراً مرض في ضيعته الخاصة مات على أثره وهو في الرابعة والثمانين من عمره .. وكان ذلك في أكتوبر ١٩٣١ م. ولنستمع إلى زوجته وهي تتحدث عنه قائلة :

- لقد كان أديسون عميق الإيمان بالله .. وكان يردد دائماً : إن الإنسان كلما تعمق في العلم ازداد إيماناً بالخالق العظيم، وإن كل ما يحيط به علم البشر لا يفضاهي ذرة من علم الله ..





فرانكلين روزفلت وأعيد على كرسي متحرك

بعد فرانكلين روزفلت أكثر رئيس أمريكي حظي بحب شعبه في القرن العشرين . كان روزفلت نبيلًا بالوراثة .. ولد في عام ١٨٨٢ في قرية هايد بارك على نهر هارسون بولاية نيويورك .. وتلقى تعليمه بين المنزل والمدرسة حتى الرابعة عشرة من عمره .. ثم التحق بجامعة هارفارد وتخرج فيها عام ١٩٠٤م ثم درس القانون في جامعة كولومبيا وعمل بالمحاماة . وبالرغم من هذه الحياة الهائثة .. كان مهتمًا باليسطاء والفقراء .. متاضلاً من أجل حقوقهم المدنية .. وفي عام ١٩٠٥م تزوج من إليانور التي كانت فتاة هادئة الطبع خافتة الصوت، فبدأ روزفلت معها رحلة سياسية طويلة .. تقوم على الحب والتفاني . وبأثنى عام ١٩٢١م حيث كان في رحلة مع بعض الاصدقاء إلى جزيرة كامبويلو وهي إحدى جزر الشمال الباردة .. وعندما وصلوا إلى المياه الباردة نزل روزفلت يمارس السباحة .. وكاد يتجمد مع تجمد المياه .. وفي اليوم التالي رموا باليخت على شاطئ الجزيرة .. فأوا نيراناً مشتعلة في

أشجار الجزيرة .. فأخذوا يكافحون النار طوال اليوم حتى نجحوا في إخمادها .. بعد أن أصابهم التعب والإرهاق .. ثم استحموا في بركة ماء عذب طلباً للراحة والاسترخاء .. ثم قاموا يركضون مسافة طويلة حيث كان البيت الذي ينزلون فيه وجلس روزفلت على كرسي يستريح فأحس بالعرق يبلل جسده كله كما شعر بإجهاد شديد .. فأسرع إلى فراشه لعله يأخذ راحته في النوم .

وفي الصباح أحس أنه لا يمكنه الهبوط من الفراش .. وأحس بساقيه متصلبتين .. وحاول أن يحركهما .. وبذلكهما .. لكن لم تستجب ساقيه لأية محاولة .

نقل روزفلت إلى نيويورك على نقالة طبية .. وشُخص المرض بأنه شلل الأطفال .. واجتمعت حوله وسائل الإعلام يسألون، لكن سكرتيره الخاص خشي أن يخبرهم بالحقيقة، لأنه كان هناك اعتقاد بأن شلل الأطفال يتبعه خلل عقلي - وهذا ليس صحيحاً بالطبع - ولم يكن مصل شلل الأطفال قد اكتشف بعد .

ولعل السبب في هذا المرض لدى روزفلت نتيجة المياه الباردة .. والمجهود الذي بذله في إطفاء الحريق .. ثم هبوطه مرة أخرى إلى الماء . حاولت زوجته أليانور أن تنمasket .. لكنها لم تستطع أن تحبس دموعها أمام هذه الكارثة . كان روزفلت يحلم بالمجد فبدأ يومهم نفسه أن ما حدث أمر طارئ .. وتظاهر بالتنمasket .. وما هي إلا أيام حتى أعلن تحديه لمرضه موجهاً حديثاً للأطباء وأهله :

(من الغريب أن يقال : إن رجلاً مكتمل الرجولة يمكن أن يشفى من هذا

المرض .. ألتسم تسمونه شلل الأطفال؟) .

وأقبلت عليه زوجته في حب وقوة .. وصممت أن يكمل زوجها مشروعه الطموح في ساحة السياسة .

كان ذلك في عام ١٩٢٨م حيث قام بترشيح نفسه لمنصب حاكم نيويورك، وذهب روزفلت على كرسي متحرك إلى مؤتمره الانتخابي وحاول بعض رجاله أن يحملوه إلى المنصة قبل حضور الناخبين .. حتى لا يراه الناس كسيحاً .. لكن زوجته رفضت ذلك بشدة وأصررت أن يصعد زوجها محمولاً أمام الناس ..

وأعجب الحاضرون بقوة إرادة الرجل .. وأعطوه أصواتهم .. ليكون محافظاً لمدينة نيويورك .. بدأ خطة إصلاحية قائمة على إنشاء نظام للتأمين الاجتماعي والمعاشات في الولاية .. وتحسين أحوال المزارعين .. وتعديل قانون العقوبات .. وكان يدير هذا كله فوق كرسيه المتحرك .. وفي عام ١٩٣٢م رشح نفسه للرئاسة خلفاً للرئيس (هوفر) وحصل على أكثر من ١٢ مليون صوت .. وبهذا استطاع أن يصل إلى القمة برغم مرضه .. وبدأ روزفلت إصلاحه السياسي والاقتصادي .. وكان يقول :

(من احترام حقوق الآخرين .. فقد احترم حقه) .

وأعلن العهد الجديد الذي يشمل برنامجاً سياسياً واجتماعياً يقدم الحلول لعدد كبير من مشاكل المجتمع الأمريكي ..

وبصر الشعب الأمريكي على انتخابه رئيساً لفترات ثلاث .. باعتباره

الرئيس المناسب .. والرعيم المخلص لوطنه وشعبه .. واستطاع روزفلت أن يغير الفكر والبناء الاقتصادي .. ويوزع الدخل في بلاده .. مما حقق زيادة فيه .. ويقضي على الفاقة والفقر والحرمان .. ويقترض الطبقات المتوسطة لتقوم بمشروعات ونحيا حياة كريمة .. وينادي بالاهتمام بالمعاقين وضرورة ابتكار مصل لشلل الأطفال ..

ولم يقعه مرضه عن الطواف بأرجاء بلاده وخارج وطنه أيضاً .. للقاء القادة والسياسيين من الحلفاء .. حتى إنه كان أول رئيس أمريكي يظهر عبر الاطلنطي .. فقد سافر في يناير ١٩٤٣م لحضور مؤتمر الدار البيضاء حيث اجتمع مع تشرشل رئيس وزراء بريطانيا ..

وفي ١٢ أبريل عام ١٩٤٥م رحل فرنكلين روزفلت عن عالم السياسة وعن الحياة جميعها .. وطويت صفحة من التحدي والإرادة الصلبة والزعامة النادرة ..





هيلين كيلر البطولة والإرادة

ربما يتحمل الإنسان فقد حاسة من حواسه التي يعيش بها .. أما أن يفقد الإنسان ثلاث حواس في وقت واحد - السمع والبصر والنطق - فإن المعجزة تتمثل في كيف يعيش ويتغلب على محنه .. ويتحدى قدره ..

تلك هي الحالة التي عاشت بها امرأة عجيبة ملأت العالم حياة وثوراً وإيماناً طوال القرن العشرين ، هي : هيلين كيلر ..

وقصتها قصة صراع وتحدي وبطولة وإرادة .. قصة امرأة رفضت أن تستسلم وتنطوي تحت ظلمات الليل .. قصة بطولة نادرة حطمت بها أقفاص الألم العاتية .

ولدت الطفلة هيلين في ٢٧ عام ١٨٨٠م في إحدى مقاطعات أمريكا .. ولدت سوية كاملة كما يولد الأطفال .. لم تكن تشكو أى قصور في حواسها .. ولكنها على العكس تماماً .. بدأت تنطق في شهرها السابع

وكانت أول كلمة نطقتها (الماء) .. water بل مشت في سن مبكرة ..
وكانت شغلة من الحيوية والنشاط .. تجرى وراء الفراشات في الحديقة وتحاول
الإمساك بها؛ وتحاول أيضاً الإمساك بظلال الأشجار وهي تتلاعب على وجه
الأرض ..

وربما تنظر إلى القمر فتري فيه ملامح وجه بشري .. فتتأمله وتتجاوز
معه .. وقبل أن تبلغ عامها الثاني أصيبت بمرض شديد شغصه الأطباء بالحمى
الذماغية فقدت على أثره حاستي السمع والبصر .. ولا مفر بعد ذلك أنها
تصبح بكماء .

وهكذا نجت الطفلة من الموت لتدخل في ظلمات طفولة عابسة ..
ومثت الطفلة بسرعة .. لكن روحها المرحية وطاقتها المخترنة .. وحيويتها
الشديدة ذابت جميعها بسرعة في نوبات هياج وبكاء .. وكثيراً ما كانت تلقى
بنفسها على الأرض .. وتطلق صيحات لا يمكن السيطرة عليها .

وثقراً الأم كتاب ديكنز (مذكرات أمريكية) ومنه عرفت قصة الصماء
البكماء العمياء لورا بريدجمان .. كيف استطاع معهد بركنز أن يعالجها ..
على الفور أخذت الأم انتهت هيلين إلى معهد بركنز .. فرشح لها فتاة أيرلندية
تخرجت في المعهد .. لتكون رفيقة لهيلين .

كانت آن سوليفان هي المرشحة لعلاج هيلين .. لقد كانت الفتاة كبيرة
القلب واسعة الصدر .. علمتها تجاربها التي مرت عليها كيف تتحمل وكيف
تصبر .. وكيف تقاوم اليأس فقد حرمت من أبويها وهي طفلة ودخلت ملجأ
للإهتمام هي واخوها .. وكانا يبيتان في غرفة موحشة لازدحام الملجأ بالأولاد،

ثم مرضت في الرابعة عشرة إثر موت أخيها وأوشكت أن تفقد بصرها ..
لكن تحسن بصرها وأكملت دراستها في معهد بركنز للعميان، حيث تعلمت
القراءة بحروف برايل .. ومن ثم لبثت آن طلب المعهد لتكون معلمة لهيلين.

وجدت أن تلميذتها هيلين لا تعرف شيئاً عن الحياة .. لقد كانت أمام
حيوان إنساني .. يحطم كل شيء .. ويغضب على كل شيء .. ويحشر
الطعام في فمه حشراً .. ويصرخ بلا سبب .. ويضرب كل من يقترب منه .

هكذا كانت هيلين .. ومن ثم كانت أمام آن مهمة شديدة الصعوبة ..
حاولت أن تكتب حروفاً على ذراع هيلين لتعبر بها عن أشياء مثل لعبة أو
عروسة .. بعد أسبوعين صحبتها آن إلى الحديقة وراحت ترطب وجهها بالماء
الحسن البارد .. وبينما يتدفق الماء على يد هيلين كانت آن تخط في بطنه فوق
ذراعها الأيسر حروف كلمة (ماء) .. وفجأة أشرق وجه هيلين فقد أدركت
أن كلمة (ماء) تعني ذلك الشيء الذي يتدفق على يدها .

كانت هذه التجربة فاتحة المعرفة لهيلين .. فما إن عادت إلى البيت حتى
صارت تلمس الأشياء .. وأن تخط بأصبعها على يدها اسم هذا الشيء،
وخلال ساعات قليلة عرفت ثلاثين كلمة جديدة .. وفي نهاية الشهر الثالث
كانت حصيلة هيلين من الكلمات ٤٠٠ كلمة، وبدأت عن طريق اللمس تقرأ
بطريقة برايل .

وفي العام العاشر من عمرها طلبت من معلمتها أن تدربها على النطق ..
إنها تريد أن تسمع صوتها إلى العالم .

وتم ذلك في معهد بركنز .. وفي مدرسة هوراس مان للصم في بوسطن،

فأخذت هيلين تتعلم كيف تستطيع أن تحس بيدبها حركات الشفاه والفك الأسفل أثناء النطق .. ونجحت هيلين .. ونقذمت .. وفي طريق العودة همست هيلين في أذن آن (أنا لست بكماء) ..

وبدأت تحسن التحدث يوماً بعد يوم بمساعدة آن سوليفان .. فهرت هيلين الصمم بالبراعة في قراءة الشفاه عن طريق الذبذبات .

صار حلم هيلين أن تدخل الجامعة .. ففي عام ١٨٩٦م دخلت مع معلمتها مدرسة كامبردج للبنات وصارت تقرأ وتكتب بسرعة مذهلة .

ثم دخلت معهد راد كليف وتخرجت بعد أربع سنوات حاملة شهادة بكالوريوس في العلوم .. وقد تعلمت خلال هذه السنوات الألمانية والفرنسية واللاتينية .. ثم حصلت على الدكتوراه من جامعة تمبل في فيلادلفيا .. وكانت رسالتها بعنوان (الرسالة الإنسانية) .

ثم كرست هيلين حياتها بعد ذلك لدراسة مشكلات مكفوفي البصر ومعاونتهم على الحياة .. ومن أجل ذلك سافرت إلى جميع بلدان العالم تلتقي محاضرات وتجمع المال لمساعدتهم ..

وفي عام ١٩٣٦م تلقت هيلين أكبر صدمة في حياتها بوفاة معلمتها آن سوليفان تلك السيدة التي قالت عنها : إنها النور الذي أضاء حياتي ودياري ..

وكانت هيلين قد مشيت عن سر حبيها لأن فقالت : إنني أدمن لها بكل شيء ؛ لأنها نقلتني من مرحلة الجمادات إلى مرحلة الأناسي .

زارت هيلين كل مدن العالم .. وزارات مصر .. وجلست إلى طه حسين .. وتبادلا حواراً طويلاً .. وألقت عدة محاضرات في الجامعة .

وقد ألقت هيلين عدة كتب مهمة مثل : قصة حياتي - التناؤل - العالم الذي أعيش فيه - أغنية الجدار الحجري (شعر) - السلام عند الغروب - يوميات هيلين كيلر - ليكن عندنا ثقة وإيمان .

وفي يونيو عام ١٩٦٨م - قبل شهر من بلوغها سن الثامنة والثمانين توفيت هيلين كيلر .. ولسان حالها يقول :

(هناك سعادة كبرى في إنكار الذات ومقاومة الصعاب ؛ لهذا أراهم يحاول أن يجعل شمسي الداخلية ضوءاً في عيون الآخرين .. وسعادتي النفسية بسمات على شفاههم) .





أوجست رنوار والخلال بالثن

تعد ممارسة الفن في ألوانه المختلفة استجابة حقيقية لآمانى الإنسان وأحلامه، فالشاعر يبدع قصيدته ويودعها أحلامه وتنبؤاته، والروائي يودع روايته عالماً من الخيال الذى يبعد عن قسوة الواقع، والرسام يبدع لوحته بكل ما يملك من طاقة لعلها تخلصه من همومه، والموسيقار يجعل من الاوتار والأنغام جسراً وهمياً لتجسيد أحلامه .. وهكذا ..

ومن أجل ذلك مثل الفنان رنوار : لماذا ترسم ؟ فأجاب - وقد كان حديث السن : أرسم لكي أشعر بالسعادة ..

فقبل له : وهل ترسم لتسعد نفسك فقط ؟

فقال : نعم، وإذا لم أجد فى الرسم أسباب سعادتي .. لما امتدت يدي بفرضة على اللوحة ..

ما سر السعادة فى حياة هذا الرسام العالمى أوجست رنوار ؟

لنعد إلى نشأته الأولى .. فقد ولد في شهر فبراير عام ١٨٤١م بمدينة
ليموج بفرنسا .. لأسرة متوسطة الحال .. وكان أبوه يعمل خياطاً وكذلك
والدته .. وكان له خمسة إخوة يتحمل عبء إطلاعهم الأب الفقير .

غرست أمه في نفسه حب الطبيعة وهي تأخذه إلى أماكن جميلة .

ثم انتقلت الأسرة إلى باريس وأوجست في الرابعة من عمره .. وأرسلوه
إلى المدرسة .. فشغف بالموسيقى والغناء .. واكتشف أن له صوتاً جميلاً ..
لكن رنوار اكتشف أيضاً أنه يميل أكثر إلى الرسم والألوان .. وبدأ رحلته
الفنية العلمية بالرسم على أواني القيشاني في أحد المصانع وكان عمره آنذاك
ثلاثة عشرة عاماً . وكان ما يأخذه من أجر يعطيه لأبيه لمساعدته على الإنفاق
على أسرته .

وبإغلاق المصنع وجد رنوار نفسه بلا عمل .. ولحسن الحظ .. ظهرت
موجة مراوح السيدات المزدانة برسوم زخرفية جميلة .. فأخذ يعمل مزخرفاً
للمراوح ويرسم عليها الزهور ومناظر طبيعية ووجوه بعض الجميلات ..

ولم ينس في خضم ذلك أن يدرس الفن دراسة أكاديمية حتى يصقل
موهبته . وكان يقضي وقته في المتاحف الفنية ومشاهدة لوحات الفنانين
الكبار .. ومرة أخرى سئم عمله في مراوح السيدات وأخذ يبحث عن عمل
آخر يدر عليه أجراً معقولاً يساعد به والده ..

اقترب من أحد المقاهي .. ولاحظ مشادة كلامية بين صاحب المقهى وأحد
العاملين في طلاء الحوائط واختلقا على الأجر .. فالتصرف عامل الطلاء ..

ووجدتها رنوار فرصة ذهبية فاقترب من صاحب المقهى وعرض عليه أن يزين الحوائط برسوم جميلة نظير أجر زهيد .

ووافق صاحب المقهى . . واستطاع رنوار في أيام قليلة أن يزين حوائط المقهى برسوم أعجبت الرجل . . وأعجبت رواد المقهى . . واتفق معه أصحاب المقاهي أن يزين ويرسم أيضاً حوائط مقاهيهم . . فاستجاب لهم . . ووجدها فرصة للكسب . . واستطاع أن يدخر جزءاً من دخله في هذا العمل ليلتحق بمدرسة الفنون الجميلة ويدرس في القسم المسائي الرسم والتشريح . . وبدأ يشبع رغبته في رسم الأجسام البشرية .

وانتج رنوار فترة من عمره إلى الأسلوب التأثيري في الفن . . وكانت له فلسفته الخاصة التي استمدّها من الطبيعة .

ويهتم رنوار في أسلوبه الفني بالطفولة والمرأة - حيث تعبر الطفولة عن البراءة والفطرة وإشراق الحياة . . وتعبر المرأة عن الجمال والحب والخنان .

وينتقل رنوار في رحلات مختلفة إلى إيطاليا وشمال إفريقيا ودول أوروبا الأخرى لزيارة المتاحف واكتساب خبرات فنية جديدة . . وتأثر بسحر الشرق وبأسلوب فناني عصر النهضة في إيطاليا . . وعاد رنوار إلى باريس ليقيم في عام ١٨٨٣م معرضاً شاملاً ضم سبعين عملاً من إبداعه . .

وفي عام ١٨٨٩م وهو في أوائل الخمسينيات من عمره . . كان يقود دراجته كعادته كل يوم . . وكان اليوم شديد الأمطار . . فاختل توازنه وسقط على الأرض ووقع على بعض الأحجار . . وأدى ذلك إلى كسر ذراعه اليمنى تلك التي يرسم بها . . وأمر الطبيب بوضعها في الجبس . . ولكن رنوار لم

يستسلم لهذا الحادث .. لأنه لا يستطيع أن يعيش دون أن يمسك بالفرشاة .
ساعدته زوجته على تدريب ذراعه اليسرى .. وفي مدة قصيرة بدأ
يستخدمها بسهولة ومهارة .. وبعد ذلك بوقت قصير أصيب بمرض
الروماتيزم .

وبدأت فاعلية يده اليمنى واليسرى تقل ..

ولم ينجح المرض في توقف رنوار عن رسالته .. فهو يحب الحياة ..
ويحب التعبير عن جمالها .. ويرى في الرسم خلاصه من الألم والهموم .
وما هي إلا سنوات قليلة حتى أصيب بالشلل وجلس على كرسي
متحرك .

لم يتوقف .. بل استطاع أن يثبت الفرشاة بين أصابعه المتيبسة ..
ويتحرك بكرسيه ليرسم لوحاته ويبيعها بأثمان مرتفعة .. ورفض رنوار أن
ترتفع يده .. أو يمنعه شلله من الإقبال على الحياة .. وذات مرة زاره
صديقه الفنان (هنري ماتيس) وأشفق عليه وهو غارق في إبداعه .. فسأله :
لماذا تنصر على الاستمرار في الرسم على حساب صحتك ؟ إنني أراك تتعذب
مع كل حركة تأتي به أصابعك .

فاجاب رنوار : فعلاً أنا أتألم بأصديقي .. ولكن الألم سوف يزول
حتماً .. بينما يبقى الجمال حياً لا يموت أبداً .. عزائي الوحيد أنني أشارك
في صنع جمال الحياة !

لقد قضى رنوار الخمسة والعشرين عاماً الأخيرة من حياته رهن القيود

والآلام، لكنها كانت - مع ذلك - فترة خصبة للإنتاج الفني لديه .. فنجدته يهتم بالنحت إلى جانب رسم لوحات .. ومن ذلك نحتة لتمثال فينوس ربة الجمال عند الرومان .. ولأنه لم يكن يمتلك الحركة .. كان يمسك عصا ويطلب من مساعديه النحات تسوية الأجزاء أو تعديل بعض الخطوط مشيراً بالعصا إلى هذه المواضع والأجزاء .

وكانت آخر لوحة رسمها لفتاة في السادسة عشرة من عمرها تدعى (أندرية) كانت تغني له وتدخل السعادة على نفسه .. وقد انتهى منها في اليوم الثالث من ديسمبر ١٩١٩ م .. ثم وضع ريشته .. وفرك يديه وقال :
(الآن أعتقد أنني بدأت أفهم شيئاً من هذا الفن - فن الرسم) .
ثم أطبق جفنيه إلى الأبد .. تاركاً تراثاً مشرقاً بحب الحياة .





بيتهوفن وسميتانا الموسيقيان الأصمان

حينما يفقد المطرب صوته أو الموسيقى حاسة السمع أو الرسام يده التي تمسك الفرشاة .. فذلك كارثة كبرى على نفسية صاحبها .. إن صاحب هذه المحنة أمامه أحد أمرين : إما أن يستسلم لها ويطويه الزمان في مقبرة النسيان .. وإما أن يقاوم ويثحدي ويحسد أحلامه يرغم مما يعانيه من آلام .. فيكتب في صفحات الفخر والتقدير .

وأمامنا موسيقيان تشابه ظروفهما المؤلمة .. فكلاهما أصيب بالصمم وفقد حاسته التي تشعر بالنغم .. وتميز بين الأصوات والألحان .. لكن كليهما أيضاً لم يستسلم ولم يستجب لفهر الألم وإنما كتب مجده الموسيقي يرغم كل شيء .

بيتهوفن

فقد ولد في عام ١٧٧٠م في بلدة بون الألمانية لأب اتخذ الموسيقى صناعة له .. وكان يحلم أن يكون ولده في منزلة موتسارت العظيم ..

ولم يكن والده يتمنى ذلك بقصد أن يكون ولده عبقرياً في الفن .. بقدر ما كان حريصاً على أن يكسب من وراثته ما يسد به ثمن ما يحتسبه من خمر!

وبرغم ذلك فقد تعلق بيتهوفن بفننه الجميل .. وسلمه أبوه وهو في التاسعة من عمره الى أحد المعلمين الكبار في الموسيقى يعمل في بلاط أمير كولونيا .. وأتاح له ذلك أن يكون عازفاً في القصر .

لكن طموح الصغير جعله يرحل إلى فيينا في السابعة عشرة من عمره ليستزيد من العلم والمعرفة .. وهيات له أسرة بروينج المجال للاطلاع في مكتبها بما يشيع فهمه .. ونشأت بين بيتهوفن وأسرة بروينج صداقة قوية .

وفي عام ١٧٩٢م مر الموسيقار العظيم هايدن ببون فاحتفلت به الأوساط الفنية .. وأسرع بيتهوفن ليعرض عليه موسيقاه فيعجب به ويتنبأ له بمستقبل باهر في التأليف الموسيقي .. ونصحه بأن يستكمل دراسته بفيينا مهد الكلاسيكية .

ويخصص له الأمير جناحاً في قصره ومبلغاً شهرياً يساعده على استكمال ثقافته الموسيقية .

ويشتم له الحظ .. ليألف الموسيقى ويقودها بنفسه .. فتنهال عليه

الدعوات للعرزف فى الحفلات الموسيقية .

ولم يكند يبلغ الثلاثين من عمره - فى قمة شهرته الفنية .. حتى أخذ الصمم طريقه إلى أذنيه .. لكن أخذ يخفى هذه المحنة على الناس زمناً طويلاً ويستمر فى تأليفه أجمل وأعظم أعماله الفنية .

وتريد عليه العلة تدريجياً حتى صار كامل الصمم وهو فى الخامسة والأربعين من عمره : وصار لا يسمع إلا ضوضاء داخل أذنيه .

وفى عام ١٨١٥م اعتزل بيتهوفن الناس .. وساءت حالته المالية ومرض بالتهاب رئوى فلأزم الفراش .. حتى وفاته فى ٢٦ مارس عام ١٨٢٧م .

كان بيتهوفن ذا نفس أبية .. ولم تكن حياة القصور تستطيع أن تلونه أو تغير مذهبه فى الحياة .. ذلك المذهب الذى يمسك به طوال حياته والذى كان يعتقد به أن الناس سواسية لا فرق بين أمير وفقير .

ويحكى أنه دعى ذات ليلة إلى حفل يقيمه أحد الأمراء .. بعد أن عزف على البيانو وأدهش الحضور بعزفه .. سأله الأمير فى استخفاف : لقد عزفت البيانو عزفاً جيداً . فهل تستطيع أن تعزف الكمان ؟ .. وهنا نظر بيتهوفن إلى الأمير نظرة لها معنى .. وانصرف من الحفل فى صمت ودون تعليق .

وفى اليوم التالى أرسل إلى الأمير يقول :

(لقد أصبحت أميراً بمحض الصدفة والوراثة .. أما أنا فمدين بمركزى لنفسى .. إن العالم زاهر بالأمراء .. لكنه ليس فيه إلا بيتهوفن واحداً) .

هذا هو لودميح فان بيتهوفن ذلك الموسيقى العبقري الذى تحدى صممه

وأخذ يؤلف موسيقاه بصبره وإرادة قوية .. قال عنه فيكتور هوجو:

(لئن فاخرت إنجلترا بشاعرها شكسبير .. وباهت فرنسا ببطلها نابليون

.. وطاولت إيطاليا بكاتبها دانتي .. فإن هؤلاء جميعاً يتضاءلون أمام عبقرية

بيتهوفن) .



سميتانا

فهو نموذج لا يقل ارادة عن بيتهوفن ..

فقد ولد فى الثانى من مارس عام ١٨٢٤م، وسماه أبوه فريدريك، وسعدت الأسرة به لأنه جاء بعد خمس بنات رزق بهن أبوه .. استشف أبوه منذ صغره حبه للموسيقى فأسرع به إلى معلم الكمان فى براج (تشيكوسلوفاكيا) أنطون شميليك .. فرعاه وعلمه . وأعجب بنموه وعبقريته المتوثبة .

ولم يفت المعلم أن يسجل للصغير صاحب الخمس سنوات أولى مؤلفاته الموسيقية .

وفى الرابع من أكتوبر سنة ١٨٣٠م أقيم مهرجان كبير بمناسبة تعميد القيصر فرانس الثانى، ويقدم سميتانا الصغير عزفه على الكمان .. وكان مفاجأة للحضور .. ثم يعزف على البيانو افتتاحية أوبرا للموسيقى أوبر فيدهش الحضور كذلك .

وينتاج لفريدريك تعلم الألمانية وآدابها .. وينال ثقافة رفيعة فى الموسيقى على أيدى معلمين كثيرين .

لكن أباه - وقد لاحظ انحياز ولده إلى الموسيقى - كان حريصاً على أن يواصل ولده تعليمه أولاً .

لكن فريدريك كان يريد أن يستزيد من معلوماته حراً .. غير مقيد بحجرات الدراسة ولوائح المدرسة .. وهنا بدأت حرب بلا هوادة مع والده ..

فريدريك يلتحق بالمدرسة ويرسب دائماً .. لكنه يتفوق في الموسيقى وبشتهر .. والاب لا يعجبه ذلك ويحتج ويطلبه بالاستمرار في الدراسة فيلتحق في هراج بالمدرسة الثانوية .. فيلتقى هناك بثلاثة من الطلاب يهتمون مثله بالموسيقى .. فيكون معهم رباعياً موسيقياً للعرزف .. لا رباعي مذاكرة وتحصيل دراسي .. ويعلم الوالد بما آل إليه حال ولده وانقطاعه عن الدراسة .. فصمم على استدعائه إلى المنزل وأن تكون الزراعة حرفته الأخيرة مدى الحياة ويتدخل ابن عمه لدى والده .. ويعذه بمراقبته في الدراسة ..

واستطاع بصعوبة أن ينهى دراسته الثانوية .. فزالت بذلك الكتابة التي كان يستشعرها من عدم رضا أبيه عنه ..

وفي يوليو ١٨٤٣م اشترك في حفل موسيقى كبير .. وتحدث الناس عن الموسيقى الشاب ولافي كل إعجاب وترحيب ..

وكان قد تعرف على فتاة من أسرة راقية تسمى كاتارينا وكانت محبة للموسيقى وتعزف البيانو ..

وتنشأ علاقة حب بينهما تنتهي بالزواج ..

بدأ يخطط لمستقبله الفني بعد أن حلت المشكلة بينه وبين والده .. لكنه كان يؤمن نفسه مادياً بالكاد .. تلك كانت صعوبة تقابله دائماً .. ففي عام ١٨٤٨م أعلن فريدريك عن افتتاح مدرسة أولية للموسيقى .. تشمل العلوم النظرية والتأليف الموسيقي وعلوم الهارموني إلى غير ذلك من العلوم والدراسات العليا .

وكانت فكرة جيدة .. فسرعان ما أقبِل على المدرسة طلاب كثيرون ..
وآمن بذلك حياته المادية ..

وكان كلما ألف شيئاً جديداً أهدي الفنانين نسخة منه ليتلقى أحكامهم ..
فمنهم من يثنى عليه .. ومنهم من يحقد عليه وينقده نقداً لازعاً ..
لكنه لم يتوقف عن التأليف برغم كل شيء .

ثم نحل عليه محنة شخصية مفاجئة .. حيث يختطف الموت ثلاثاً من
أبنائه في عمر الزهور .. ولم يتج من الموت سوى ابنة رابعة هي صوفى .. التي
قدر لها أن تتزوج في حياة والدها .

ويدرك فريدريك عامه الخمسين فيصاب بالصرم .. ولا يبقى في أذنيه
سوى ذلك الأزيز القوي الذي يحسه في رأسه كتهدير الماء الشديد ..

ويحاول علاج هذا المرض اللعين بلا جدوى .. ويتفق الأطباء على أن
مرضه ليس من تلك الأمراض الشائعة في الأذن .. وإنما هو شيء آخر ربما
يكون شللاً في الأعصاب والقوقعة .

وقرر أن يواجه مصيره حتى آخر لحظة من حياته .. ويحتمل دون أن يتألم
.. ويواصل عمله العظيم في الموسيقى ..

انقطع بعد إصابته بالصرم إلى التأليف الأوركسترا لي بعيداً عن الغناء
على الرغم من صممه الكامل ..

ويبلغ سميتانا في ذلك التأليف القمة .. وقد كان الحاقدون عليه يتمنون
أن يكف عن النشاط بعد إصابته بالصرم .. لكنه لم يفعل .. وظل حتى آخر

رمت من حياته يعرف ألقائه الجميلة.

وكان عبداً قومياً يوم افتتاح المسرح القومى التشيكي فى الحادى عشر من يونيه عام ١٨٨١م. وجرى فيه تكريم الفنان فريدريك سميتانا بحضور ولى عهد النمسا والمجر.

وجلس فريدريك فى مقصورة مدير المسرح يرقب مؤلفاته تؤدى على المسرح وهو لا يسمع من نغماتها شيئاً. وأقبل عليه ولى العهد يقبله ويهنئه على عبقريته.

وفى منتصف نوفمبر عام ١٨٨٢م فقد المنطق تماماً، وعجز عن ربط أفكاره.. وضاعت ذاكرته، وأصبح عاجزاً حتى عن القراءة.. وتوفى فى مستشفى الأمراض العقلية فى مايو ١٨٨٤م.

وهكذا يخلد بيتهوفن وسميتانا فى أعمالهما الرائعة وتاريخهما المجيد، كما يخلدان رمزهن للإرادة القوية والتحدى.. وحب الحياة..





اليزابيث براوننج عزيمة لاتلين

يقولون : إن الكيث بولد الانفجار .. !

وفي المجتمعات المتخلفة يسيطر الرجل على بيته .. ويصير طاغية ظالماً .
يحبس بناته داخل الجدران .. ويسمح للذكور من أولاده بكل شيء .. لكن
ما بالنا لو حدث ذلك في مجتمع يقال عنه إنه متقدم .

كان أسرة باريت تعيش في قصر ريفي بالقرب من لندن .. وكان باريت
هذا غريب الأطوار .. قاسي السلوك .. جهم الوجه .. استبد بأولاده استبداداً
وحرّمهم من مخالطة الناس .. وسمح لهم أن يتعاملوا مع من يوافق هو عليه .
رزق باريت في عام ١٨٠٦م بانيته (إليزابيث) وكانت كبرى بناته غير
تسعة صبية آخرين .. ومما يدل على غرابة أطواره أنه أطلق على الصبيين
الآخرين اللذين رزق بهما : السابع .. والثامن .

ونشأت إليزابيث في هذا القصر الكبير .. والذي مثل لها سجنًا فولاذيًا
فرضه أبوها عليها .. إذ حرم عليها الخروج من الدار ومن الحديقة المحيطة بها

.. كما لم يسمح لها - مثل إخوتها- ارتداء المدرسة حتى لا يختلطوا بأمثالهم من الأطفال .. واكتفى باستدعاء المدرسات والمدرسين إلى الدار في ساعات معينة من النهار ..

واكتفت اليزابيث بقراءة الأدب والعلم في مكتبة أبيها .. لكنها كانت أكثر الأبناء حساسية وقمراً .. فبدأت تعبر عن ذلك في أشعار ساذجة جميلة .. نبهت الأب الطاغية إلى نبوغ ابنته .. ولكنه بالرغم من ذلك آثر عدم المبالاة .. بل أخذ يمارس ضغطاً نفسياً شديداً ..

وكانت اليزابيث في هذه المرحلة متأثرة بتوجيهات معلم إخوتها الأدب القدير (بويد) .. ولكن أباهما منعها من حضور درسه فكانت تلتابها بين الحين والآخر نوبات عصبية حادة .. لم تتوقف إلا عندما سمح لها أبوها بحضور جلساته ..

ولما بلغ أخوها إدوارد عامه الثالث عشر .. أرسله أبوه إلى المدرسة وطلبت اليزابيث مرافقته .. لكن أباهما رفض طلبها لأنها فتاة .. ولأن التقاليد تقضى بأن تقيم الفشاء في البيت ولا تذهب إلى المدرسة .. فشارت الفتاة ثورة شديدة .. وسمح لها أبوها أن تطوف في مكتبته وحدد لها جانباً منها لا تقرب غيره .. فقرأت هومبروس وشكسبير وميلتون وبايردن وأفلاطون، وتاقت إلى الانطلاق فبدأت تكتب مذكراتها .. وبعض القصائد الحزينة ..

لكن ذلك كله لم يشعرها بالحرية .. ولم يخفف أبوها قبضته عليها بل على العكس تماماً كان قبيها عن قرب .. ويزيد من ضغطه على نفسها فبدأت تضرب عن الطعام .. وتكثر من البكاء .. وعادتها النوبات العصبية الحادة وبدأت تظهر عليها بوادر الضعف الجسماني .. رافضة مغادرة فراشها

وغرقتها وتوالى عليها الأطباء.. وقرروا أن علتها نفسية.. لكن أباهما لم يقتنع بهذا التشخيص.. ومع مرور الوقت صارت إليزابيث الشاعرة الصغيرة فتاة مقعدة تماماً.. ولم تعد تقوى على الحركة.. فشبت معزولة عن العالم مقيدة في أغلال أبيها.. مكنته بالتعبير عن ذلك كله بالشعر وكتابة المذكرات..

وكان أخوها إدوارد أكثر الناس قرباً منها.. إذ جمعت بينهما صداقة عميقة وجاء يوم أصيبت به إليزابيث بالتهاب رئوي حاد، وأشار الأطباء على أبيها بضرورة إبعادها عن الرطوبة والضباب.. ويلين أبوها هذه المرة ويسمح لها ولأخيها إدوارد بالسفر إلى مكان دافئ على الشاطئ الجنوبي.. وما هي إلا أيام حتى غرق أخوها إدوارد تحت نافذة غرفتها وهو يسمح فأصيبت بصدمة نفسية عنيفة وخيل إليها أنها المسفولة عما حدث لأخيها ثم توفيت أمها في وقت كانت في أمس الحاجة إليها.. فقرر أبوها الانتقال مع أسرته إلى لندن وضاعف من قسوته في معاملة أولاده..

ويبدو أن العزلة قد شحذت مواهبها.. فأخذت تكتب أشعارها بإحساس عميق.. ولاحظت أن أباهما بدأ يعاملها برفقة.. فأسمعت بعض أشعارها.. وطلبت منه اقتناء كلب من كلاب الصيد أطلقت عليه (فلاش) لعله يؤنس وحدتها.

أخذت تقرأ لشعراء كبار مثل «بايرون» و«شيلي» وكذلك «روبرت براوننج».

وكان روبرت في الرابعة والثلاثين حينما قرأ لإليزابيث أشعارها.. فتطلع إلى التعرف عليها عن طريق صديق من أقرباء أبيها.. مما أسعد إليزابيث وجعلها تستعيد الثقة بنفسها.

لكن إليزابيث رفضت مقابلة الشاعر الكبير خوفاً من أبيها، وأيضاً حتى لا يفاجأ براوننج بحالتها الصحية.. لكن براوننج صمم على رؤيتها لأنه وجد فيها ضالته المنشودة.. وظل عاماً كاملاً يرسلها ويؤكد حبه لها ولاشعارها.. حتى تم اللقاء في غرفتها في أثناء غياب أبيها..

واكتشفت إليزابيث أنها أساءت الظن والتقدير للشاعر الكبير، فقد أعجب بها وطلب منها الزواج.

لكن كيف تتزوج.. وهل سيوافق أبوها على ذلك.. وهي المريضة العاجزة..

ظل براوننج يواصل زيارته دون علم أبيها.. وكانت لهذه الزيارات أثرها الإيجابي في تحسن صحة إليزابيث.. حيث حدثت المعجزة، ففي ذات يوم نهضت من فراشها وتغلبت على مرضها.. وخطت بضع خطوات.. وبعد ثلاثة أشهر وبفضل تشجيع براوننج.. تمكنت إليزابيث من السير مسافة قصيرة برفقته.

لقد كانت زيارات الشاعر الكبير تفتح لها آفاقاً من العلم والأدب والحوار والثقة بالنفس.. ورفض التأس.. وبدأ الشاعران بتبادلان قصائد الحب الصادق.. ثم تزوجا دون علم أبيها.

ولما عرف أبوها ذلك ثار ثورة عارمة وقال: إن ابنتي في قبرها الآن فلننس الأموات.

هكذا كانت قسوة الأب.. على حين بدأت إليزابيث مع براوننج صفحة جديدة من السعادة والإبداع.. وفشلت كل محاولاتها لإرضاء أبيها.

ويعرج الزوجان إلى إيطاليا مع وليدهما الوحيد.. وفي عام ١٨٥٧م يموت

الأب وتحزن إليزابيث.

وفي عام ١٨٦١م توفيت إليزابيث براننج بعد أن ملأت الدنيا شعراً وحباً
للحياة. وكتب عنها أندريه مورو:

لقد عاشت فوق الشوك لكنها أبدعت نشيد الحياة؛ ليبقى مفعماً بالحب
والنور والحرية.





لويس برايل بصيرة المستقبل

هذه قصة مذهشة حقاً .. تدعو إلى التأمل والإعجاب .. لأن صاحبها مكفوف لكنه أضاء نور الأمل لأصدقائه من مكفوفي البصيرة ..
لم تكن تختلف بلدة كوبراي شرقي باريس عن غيرها من البلاد الصغيرة لكن كتب لها المجد .. حينما ولد فيها لويس برايل في ٤ يناير ١٨٠٩ م ..
كان أبوه يعمل في صناعة سروج الخيل ويسكن في بيت صغير من الحجر عند قاعدة التل .. والغريب أنه لم يكن يتوقع أن تلد زوجته لكبر سنها ..
ويشب لويس .. وبدأ في الثالثة من عمره بخرج ليحضر لأمه ما نشاء من السوق .. ثم يعود ويجلس إلى أبيه وهو يشقب الجلد بمخارزه .. ويصنع الشرائط .. ويعقد العقد .. ويلصق بالسرج مشابك، معدنية لأمعة ..
وكثيراً ما كان يساعد به قدر سنه فيناوله الخيط أو الشرائط أو المشابك .. ولأن لويس كان أصغر الأبناء .. فقد نال من أبيه تدليلاً كبيراً ومن أمه حناناً وحناً عميقاً ..

وقبل أن يبلغ لويس الرابعة من عمره .. كان في دكان أبيه .. وانتهر فرصة خروج أبيه من الدكان .. فأخذ يلهو بمتقاب الجلد .. فاندفع المثقاب إلى إحدى عينيه ففقاها .. ثم لم تلبث عينه الأخرى أن أصيبت .

وأخفقت محاولات الأب مع الأطباء لإنقاذ ولده .. وشاركه أهل البلد في مصابه الألم .. أما الأم فقد انتابها حزن شديد على مصير ولدها .

كان الأب قد رسم لولده مستقبلاً مثل إخوته في سلك التعليم .. لكن بدائله أن أحلامه تلك قد أصبحت وهمًا كبيراً ..

لم يكن أمام لويس إلا أن يمارس حياته كما يفعل كل المكفوفين في العالم .. فبدأ يتعلم شيئاً فشيئاً القيام بأعمال كثيرة معتمداً على نفسه .. ممسكاً بعضاً صغيرة ترشده عن موضع الأشياء ..

ثم ها هو يخرج إلى الطريق ليميز أصوات العربات والقطارات .. ونهيق الحمير وصهيل الخيل .. ونباح الكلب ..

وقد تعلم بمرور الأيام أن يصعد الطريق الجبلى قاصداً سوق البلدة - الذي سمى بعد ذلك ميدان برايل وكان يجد لذة في اختلاطه بالناس ..

ثم أرسله أبوه إلى المدرسة فتعلم فيها حروف الهجاء والحساب .. وادّهر أساتذه بذكائه .. وذاكرته الحافظة .. وفهمه العميق .. وحبّه للمعرفة ..

وبشأن القدر أن يموت أبوه وهو في سن العاشرة .. وكان لويس آنذاك في مدرسة المكفوفين في باريس .. وكانت هذه المدرسة قد أنشأها صبي يسمى « هاوي » كان فقيراً ثم اهتم بالمكفوفين وجمع المال وأنشأ بها هذه المدرسة .

وأناحت هذه المدرسة مجالاً جديداً أمام لويس .. فقد أنشأ ناظرها د . جيليه مجموعة من الحرف اليدوية يمارسها المكفوفون من الصبيان ..

ويبدو على لويس اهتمامه بالموسيقى .. فآخذ بعزف ويغنى مع زملائه من المكفوفين .. ويشاركهم في الزيارات والحفلات ..
وسرعان ما تفوق لويس في القراءة والكتابة والموسيقى والصناعات اليدوية .. وكان في مقدمة التلاميذ تحمساً للعلم والعمل .. وقبل أن يبلغ العشرين كان عازفاً ماهراً على آلتى الفيوليتا والأرغن ..
وبدأ لويس تجواله في مدينة باريس حباً في المعرفة ..
وعندما حان موعد التخرج في المدرسة طلب إليه المسئولون أن يبقى معلماً مدرّساً للتلاميذ .. فعين استاذاً في عام ١٨٢٨م لتدريس التاريخ والهندسة والجبر .. وأحبه التلاميذ واستجابوا رلى توجيهاته ..
وأدرك لويس أكثر مما أدرك هاوى .. ود. جيليه - وكلاهما مبصر - أن المكفوف يستطيع أن يفعل كل شيء مثل المبصرين ..
أخذ يتأمل طريقة هاوى في تعليم المكفوفين واكتشف عيوبها .. ثم قرر أن يتتبع طريقة أكثر تطوراً وبساطة في التعليم ..
وكان قد قرأ أيضاً عن محاولة أخرى قام بها (تشارل باربيه) تحت مسمى (طريقة الكتابة والقراءة الليلية) وكان الغرض منها نقل المعلومات السرية في ساحة القتال في الظلام حيث كان باربيه يعمل في الجيش وكانت مدارس المكفوفين تستخدم كل هذه الطرق لتعليمهم ..
أخذ لويس أيضاً يكتشف عيوب هذه الطريقة - حيث تمثل صعوبة للمكفوف لأنها تتطلب دائماً شجرة تمثل دليلاً لفك رموزها .. ومن ثم فهي طريقة معقدة .. بالإضافة إلى أنها تستغرق مساحة كبيرة في الكتابة وهو أمر غير عملي .. وبالتالي أخذ يفكر لويس في طريقة تجعل مساحة الأحرف

صغيرة .. وتسهل على المكفوف لمسها دون صعوبة دون الرجوع إلى الشفرة .
ونجح لويس برايل في اختراعه الذى جربه فى المدرسة وسعد به التلاميذ
وبدأ ينتشر فى مدارس المكفوفين كنظام متقدم متطور يسير ..
ويبلغ لويس الأربعين من عمره .. وكان سعيداً بما توصل إليه من اختراع
هذه اللوحة للمكفوفين التى سهلت عليهم القراءة والكتابة بطريقة اللمس ..
فقرر التخلي عن التدريس لسوء صحته ..
بدأت صحته فى الانحدار .. ولازمه السعال بدون توقف .. لكنه ظل
يشارك فى إلقاء المحاضرات التى يدعى إليها هنا وهناك ..
وكان الحفل الختامى لتسليمه جائزة كبرى .. فحضره وهو يحتضر وجاء
يوم عيد الميلاد عام ١٨٥١ حيث أصيب بنزيف حاد .. ولم يهمله المرض
كثيراً .. حتى فارق الحياة فى ١٦ يناير ١٨٥٢م ودفن فى مقابر قريته .. بعد
أن انتشرت طريقته فى أنحاء العالم سواء فى لغة الكتابة العادية .. أو
الاختزال فى الرياضة .. أو الموسيقى .
وكانت المفاجأة بعد وفاته حينما اكتشفوا حسناً صغيراً كان قد أوصى
بحرقه بعد وفاته .. وكما كشفوا محتوياته وجدوا امصالات إدانة وقروض
كان قد وهبها لأصدقائه ومعاونيه فى باريس من المكفوفين .
وفى مدرسة باريس التى تعلم فيها براح الستار فى عام ١٨٨٧م عن تمثال
نصفى للويس برايل .. بعد أن سجل ملحمة من الإرادة .. وبعد أن رسم
المستقبل لكل مكفوف قادم بعده .. بالنور والخلود .



جون ميلتون والفردوس المفقود

عاش ستة وستين عاماً .. لكنه في عامه السادس والأربعين بدأت علامات
كف البصر تظهر في عينيه .. إذ ضعفت عينه اليسرى .. وصحب ذلك
اضطراب في الهضم .. وأخلد إلى السكينة بعض الوقت .. ثم بدأ الظلام
يزحف أيضاً إلى عينه اليمنى .. حتى كف بصره تماماً.

والغريب أن ميلتون قد كتب أعظم أعماله الأدبية: الفردوس المفقود -
واستعادة الفردوس بعد أن كف بصره تماماً .. وهذه الأعمال مستلهمة من
قصة المعراج النبوي .. لكن يفكر خاص لكتابها الإنجليزي جون ميلتون ..

ولد جون ميلتون بمدينة لندن في التاسع من ديسمبر عام ١٦٠٨ وكان
والده محرر عقود رسمية ميسور الحال .. له نصيب من الثقافة .. وأمه سيده
طبيبة حسنة الأخلاق اسمها سارة ..

وكان تحيط بالطفل أجواء الترف والثقافة .. فهو يسمع بأسماء كتاب
ومفكرين كبار مثل جونسون - وبيكون - وشكسبير وغيرهم ..

وكان أبوه أيضاً يكتب الأناشيد بترنم الصغير بها ويعزفها على آلة البيانو ..

ويتلقى جون دراسته الأولية بمدرسة القديس بولس .. وظهert عليه ملامح الذكاء والفهم ..

وفي عام ١٩٣٢م نرح جون إلى قرية هورتون بالقرب من وندسور وكان له بالجامعة أصدقاء مريدون .. يحبون صحبته .. والاستماع إلى أفكاره وآرائه .. وبعد ستة أعوام قضاها في الجامعة دارساً .. قام برحلة إلى القارة الأوروبية .. وانتهى به المطاف إلى إيطاليا حيث زار هناك معاهد العلم والدراسة بحثاً عن المعرفة ..

وفي إيطاليا زار العالم الكبير جاليليو في داره ..

ثم يعود جون إلى لندن بعد أن أشبع وجدانه بكثير من المعرفة فقد انجلترا تغلي بالأحداث السياسية .. ووجد نفسه غارقاً في هذه الأحداث .. فكتب عام ١٩٤١م رسالة شديدة الصراحة بعنوان (عن الإصلاح في إنجلترا والأسباب التي وقفت في طريقه) ثم وجد نفسه قادراً على التعبير بأقذع العبارات باللغة اللاتينية أيضاً .

وأصبح جون بذلك في بؤرة الصراع السياسي .. وظل يحارب الفساد في الدولة وفي الكنيسة ..

وفي الرابعة والثلاثين من عمره .. تزوج جون ميلتون بفتاة في السابعة عشرة من عمرها تدعى ماري هاول .. ولكن سرعان ما عادت إلى دار أبيها مما دعا ميلتون إلى نشر رسالة واقعية مريرة بعنوان (القاعدة والنظام في الطلاق) فوبلت بعاصفة من الاحتجاج من رجال الدين وغيرهم .. وأخذ ميلتون

يدافع عن آرائه وأفكاره .. ويتلقى التهديدات بالقتل ..
وفي يناير ١٩٤٩م كان إنجلترا تغلق بالمناقشات الحامية حول محاكمة
شارل الأول وإعدامه .. فنشر ميلتون رسالة بعنوان : (حق الملوك والحكام)
أهد فيها حق الشعب في إعدام الملك الخائن . ويصاب ميلتون بكف البصر ..
وكانت عيناه شغافتين لم يفسر لونهما كف البصر ..
وبعبر جون ملتون عن هذه المحنة في أشعاره حين يقول :
عندما كنت أشكو ثقل المرض
وأحذر فقد عيني الباقية
وعندما قرر الأطباء أن انهماكي في العمل
سوف يقضى على بصري نهائياً
فإنسى لم أفرع مطلقاً .. وظللت صامداً في موقفى
لم نهن لى عزيمة ..
ولم يكن أمامى سوى أحد أمرين :
إما فقد البصر ..
وإما القرار من الواجب ..
وكان على أن اختار ففضلت بصري
أما الظلام الذى أحاط بى فلم يحجب عني
سوى ألوان الأشياء .
وأشكالها ..
وأتاح لى أن أنامل فى حرية
جمال الفضيلة والحق ..

ويكتب ميلتون ملاحمه الكبيرة : الفردوس المفقود - استعادة الفردوس - شامشون أجوليسيس .. وكذا المقطوعتين التاسعة عشرة والثالثة والعشرين .. وكذا يخاطب في الأخيرة أحد أصدقائه التجار ويسمى سيرياك منكند .. وينتقل جون مع أسرته إلى كوخ صغير في قرية صغيرة .. يحلى على فتي مخلص أعماله الكبيرة أحياناً .. وعلى ابنته أحياناً أخرى .. وبعد النقد - الفردوس المفقود - من روائع الآثار الأدبية ويقارنون بينه وبين هوميروس وفرجيل وغيرهما ..

وظل ميلتون في الخمسة عشر عاماً الأخيرة من عمره .. يخرج طاقاته الخلاقة التي أثمرت أعظم أعماله .. متحدياً بذلك فقد بصره .. ويكفي أن نعرف أن ميلتون لم يكتف بالتزود من المعرفة فقط .. وإنما أجاد ثمانى لغات .. العبرية - السريانية - اليونانية - اللاتينية - الإيطالية - الإسبانية - الفرنسية .. إلى جانب لغته الإنجليزية.

وقد اعتقل ميلتون حيناً من الزمن .. وتزوج بعد أربع سنوات من وفاة زوجته .. وماتت زوجته الجديدة في الشهر الثاني عشر من زواجه - فتزوج للمرة الثالثة في عام ١٦٦٤ م .. ولم تكن حياته العائلية سعيدة نظراً لالتزامه الجد الصارم وافتقاده روح الفكاهة وانكبابه الدائم على العمل والدراسة .. ولا شك أن هذه المحن جميعاً .. إلى جانب فقد بصره .. كانت تولد في داخله إحساساً بضرورة سبق الزمن .. لكي ينجز فيه ما أراد أن يخرج به للناس ..

ويظل جون ميلتون مثلاً للمفكر والمبدع الخلاق .. وسنظل أعلامه شهادة على عبقريته ..



روبرت بيرى والقطب الشمالى

خطيرة هى رحلات المكتشفين .. فهم يواجهون الصعاب .. واخطار ..
لكن احلامهم لا تتوقف .. وكم يسعدون ويفرحون حينما يبلغون ما حلموا
به .. وهم قد اعثادوا على الصبر .. ورفضوا اليأس .. واخلصوا للبشرية
حينما يقدمون لها الجديد فى عالم الاكتشاف ..

وهى قصة مكتشف اصر على الوصول إلى قمة العالم الشمالية حتى
تجمدت اقدمه فوق الجليد .. لكنه لم يتوقف - ورفض ان يعود إلى امريكا
لكى ينال علاجاً لاقدامه المتجمدة .. وخشى ألا يعود .. والا يكون له شرف
الاكتشاف فظل صابراً على تجمد اقدمه حتى حقق احلامه ..

ولد روبرت بيرى فى بلدة كريسون بولاية بنسلفانيا عام ١٨٥٦م فى
اسرة متوسطة .. وتلقى دراسته .. ثم التحق بالجيش بوصفه مهندساً بحرياً
عام ١٨٨١م.

وحينما بلغ روبرت عامه الثلاثين (١٨٨٦م) قدم طلباً لقائد البحرية الأمريكية لاقتحام جزيرة جرينلاند .. وقام بأول مهمة .. واندفع بالزحافات لمسافة ١٦٠ كيلو متراً فى جليد الجزيرة الكبيرة ..

وفى عام ١٨٩١ كلفته الأكاديمية العلمية فى فيلادلفيا بمهمة جديدة .. فقاد حملة أخرى قاصداً أقصى شمال جرينلاند .. وفى أثناء هذه الحملة وصل روبرت وحملته إلى خط عرض ٨٢ ..

ثم قام عامى ١٨٩٣ و ١٨٩٥ بحملتين أيضاً خلال الجزيرة .. كان هدف روبرت بيرى الوصول إلى القطب الشمالى قمة العالم ..

وفى عام ١٨٩٧م أسس روبرت بيرى (جمعية بيرى القطبية) بهدف محدد هو الوصول إلى القطب الشمالى ..

وتبدأ الجمعية عملها فى إخلاص وعزيمة ..

ويلاقى روبرت وأصدقائه المشاق الصعبة فوق الجليد .. والحرمان من النوم والراحة خلال رحلة البحث .. لقد كانوا يصرون على تحقيق الحلم الكبير ..

وفى عام ١٨٩٨م قام روبرت بحملته الأولى نحو الشمال وخلال هذه الحملة .. ونتيجة قسوة الطبيعة والإرهاق الزائد .. والتصميم على تحدى الزمن .. أصيب بيرى بنجمد فى قدميه مما تسبب فى التوقف عن المضي فى

الحملة ..

لم تخدم عزيمة روبرت بيرى أمام هذه المحنة المفاجئة .. لقد أحس بالآلم يتسلل إلى قدميه حتى تجمدت عن الحركة تماماً .. بل نصحه أصدقائه بالتوقف والعودة للعلاج ثم استئناف الحملة إذا شاء .. لكنه رفض ذلك وصمم على الراحة قليلاً واستئناف المسير ..

وفى شهر سبتمبر عام ١٩٠٩م - بعد رحلات عديدة قام بها روبرت بيرى - تلقى نادى (بيرى القطبى) رسالة تحوى على كلمة واحدة هي :
(شمس).

كانت هذه الكلمة هي التي اتفق عليها من قبل للإشارة إلى نجاح الحملة ووصولها إلى القطب الشمالى .. وكانت هذه هي المرة الأولى التي يضع فيها إنسان قدمه على تلك الرقعة من الأرض - القطب الشمالى -

لقد اكتسب بيرى فى رحلته صداقة الاسكيمو وثقتهم .. وجمع منهم حوالى سبعين شخصاً ما بين رجل وامرأة وشاب .. وحملهم مع ٢٥٠ كلباً على السفينة (روزفلت) ومعهم الزحافات وكل ما يلزمهم من أدوات للحملة القطبية ..

وعندما وصل بيرى إلى (رأس شيريدان) أنشأ مقر قيادته البحرية ثم اندفع فى شهر يناير ١٩٠٩م - ضارباً بالآله عرض الحائط - ومع ٢٣ رجلاً حتى (رأس كولومبيا) وهى أقصى نقطة إلى الشمال من أرض (جوانت) .

ثم فى ٢٢ فبراير ١٩٠٩ بدأ يزحف مع رجاله لغزو القطب الشمالى وكان التقدم على ظهر القارب القطبى يتم على مراحل .. وبمجموعات متفرقة ..

وحدث أن انفتحت المجموعات عند نقط متوازية .. وكان لا يزال باقيا ٢٥٠ كيلو متراً للوصول إلى الهدف الكبير .

ثم انطلقت المجموعة التى يقودها بيرى مباشرة ومعه خادمه الزئبى وأربعة من رجال الاسكيمو حتى وصلوا إلى القطب الشمالى فى ٦ إبريل ١٩٠٩ م ..

لقد كانت المهمة شاقة ومرهقة .. خاصة على روبرت بيرى الذى تزداد الام قدميه كلما تقدم إلى الشمال ..

وكانت الزحافات تتقدم بين البرد الشديد القارس .. ثم تتوقف لأن الثلوج كانت تتخللها يقع من الماء العميق ..

وقد كتب بيرى فى يومياته يقول :

(ها هو القطب أخيراً .. إنه جائزة ثلاثة قرون - إنه حلمى وهدفى وبغيتى خلال عشرين عاماً .. إنه صار أخيراً لى .. وبعد أن غرست العلم الأمريكى فى الثلوج .. هتفنا جميعاً هتاف النصر ..

ويعود روبرت بيرى إلى الوطن فيستقبل استقبالا حافلاً .. ويمنح رتبة الأدميرال ..

ويعيش روبرت بقية عمره مستريحاً لتحقيق حلمه .. بالرغم من هذه
الآلام التي يحس بها .. حتى آخر يوم من عمره ٢٠ فبراير ١٩٢٠م بالغاً من
العمر أربعة وستين عاماً ..





جوهانز كيبلر وفانون حركة الكواكب

هذا رجل عاش حياة قاسية عنيدة .. لم يكن ينجو من محنة حتى تقبل عليه أخرى ولكنه لم يستسلم لأحدها لأن إخلاصه للعلم .. والتطلع إلى هدفه السعيد .. وإرادته القوية جعلته ينتطلق برغم كل شيء لتحقيق أحلامه ..

في مدينة وبل جنوبى ألمانيا ولد جوهانز كيبلر فى ٢١ ديسمبر ١٥٧١م .. وكان أبوه جندياً مرتزقاً .. وأمه ابنة لأحد بوابى الفنادق .. لكنها جاهلة حمقاء .. وقد تكون مختلة عقلياً ..

أدمن أبوه شرب الخمر .. وكان دائم الغياب عن بيته .. نشأ جوهانز فى هذا البيت الكئيب .. وحينما بلغ الرابعة من عمره أصيب إصابة شديدة بالجذري .. ولم يستطع أبوه .. ولم تستطع أمه أن تقوم برعايته فنشأ عن هذا المرض ضعف فى النظر .. وعجز فى اليدين ..

لكن جوهانز كان مجداً في دراسته .. لكنه لم يستمر في مدرسته لعدم قدرة أبيه على دفع نفقات الدراسة ..

وهكذا ترك جوهانز المدرسة رغماً عنه .. وظل على هذه الحال سنوات ثلاث .. محروماً من العلم والمعرفة ..

أخذ الصغير تتباهى حالات ونوبات عصبية .. وبكاء مستمر .. حتى توسط بعض أصدقاء أبيه .. ومكثوا الفتى من الالتحاق بمدرسة الديبر ببلدة مليرن .

وكان الدراسة بالنسبة له خلاصاً مؤقتاً من كتابته وآلامه ..

لم يكن امام الفتى سوى الاجتهاد وتخطي مرحلة الدراسة حتى يدخل الجامعة وبالفعل .. لم يكده يبلغ السابعة عشرة حتى مكثه بلوغه من الالتحاق بجامعة توبنجن ..

اكتشف استاذ علم الرياضيات بالجامعة .. بنوع جوهانز كبلر في الرياضيات فاهتم به .. وأخذ يشجعه ويوجه إلى رعايته الخاصة ..

كان هذا الأستاذ واسمه ميخائيل ميستلن من أتباع مذهب كوبرنيكوس الذي يعتقد أن الشمس هي مركز نظامنا الشمسي .. وأن الأرض كوكب يدور حولها ..

وبلغن الأستاذ تلميذه فكرة هذا الاعتقاد .. حتى صار كبلر من أشد أنصاره وأخذ يكتب الأبحاث في هذا المجال حتى ذاعت شهرته في علم الفلك فلما خلا منصب أستاذ الرياضيات في جامعة جراتس .. عرضت

الجامعة عليه هذا المنصب لتفوقه .. فقبل ..

وفى عام ١٥٩٧ تحل عليه محنة أخرى .. فقد شاء القدر أن يتزوج من سيدة كانت متزوجة من قبل مرتين .. وكان زواجاً مشقوماً .. إذ رزق من هذه السيدة ثلاثة أبناء .. عاجز عن الاتفاق عليهم حيث ارتبكت حالته المالية ..

كان كبلر - كما رأينا - إنساناً سيء الحظ ..

كانت طفولته بالسة .. حصار ضعيف البصر .. عاجز اليدين نتيجة إهمال علاجه وهو صغير ..

بل إنه عاش في وقت كانت ألمانيا فيه غارقة في حرب الثلاثين عاماً فلم يكن يستطيع الحصول على راتبه الشهري ينفق منه على أسرته فقد كان الذين يتولون السلطة يتكاسلون في دفع الأجور ..

كيف إذن يدبر شئون حياته وله أولاد كثيرون ..

وتزامن ذلك كله مع محنة أخرى تتعلق بأمه .. فقد قبض عليها ..

وأدخلت السجن بتهمة ممارسة السحر .. وخداع الناس ..

وبالرغم من كل هذه المحن .. وأصل جوهانز كبلر طريقة إلى الحمد .. فقد

عمل استاذاً للرياضيات والفلك في جامعة جراتس .. وهناك أصدر أول مؤلفاته عن الفلك في عام ١٥٩٦ م .. وأثار هذا الكتاب جدلاً شديداً بين العلماء ..

وقد أعجب به العالم الفلكي نيكو براهي فدعاه بمساعدته له في مرصد براغ

.. وكان ذلك في يناير ١٦٠٥م.

وكان نيكو هذا عالماً فلكياً كبيراً .. فلما توفي أصدر الامبراطور قراراً بأن يخلف كبلر براهي .. في وظيفة مستشار الامبراطورية للمشئون الرياضية والفلكية ..

شعر كبلر أن هذا العمل سوف يكفيه محنة وكتابتته التي عاشها لسنوات طويلة .. لهذا أقبل بإخلاص بممارسة عمله في هذه الوظيفة .

وبدأ كبلر يقرأ ويدرس منهج سلفه ونظرياته في الفلك ويقارن بين هذه النظريات ونظرية كوبرنيكوس ..

ويثور سؤال: هل الأرض تدور حول الشمس .. ومعها الكواكب الأخرى كما يقول كوبرنيكوس.

أم أن الكواكب تدور حول الأرض كما قال من قبل بطليموس ..

أم أن هناك احتمالاً ثالثاً .. عليه أن يبحث ..

بدأ كبلر يدرس ويتعمق في البحث .. ويسوق الاحتمالات .. ويرصد بعينه الضعيفة حركات الكواكب ..

وها هو يصل إلى النتيجة التي أودعها كتابه (الفلك الجديد) بشير فيه إلى أن الكواكب تدور في مدارات شبه دائرية .. حول الشمس ..

وتعد إسهامات كبلر في علم الفلك لا تقل خطورة ولا أهمية عن دور كوبرنيكوس .. وقد تكون أعمق منه ..